روايات مصرية للجيب

الكتاب الثامن

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

تحقيق

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـــارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

(قصة قصيرة)

جنون ..

لست ادرى لماذا توقفت بالسيارة لالتقطه ، فى ذلك اليوم ، الذى انهمرت فيه الأمطار كالسيول ..

ربما لأنه كان يبدو لى بائسا مسكينا ، وقد اغرقتـــه مياه الأمطار ، وهو يبحث عبثا عن واحدة من سيارات الأجرة ، فى ذلك الوقت المتأخر ..

وعندما القى جسده على المقعد المجاور لى ، كان يلهث فى شدة ، ويغمغم :

ـ شكرا لك .

لم يحاول حتى إلقاء نظرة على وجهى ، وإنما تطلع امامه ، وهو يجفف وجهه بمنديل صغير قذر ، فى حين رحت انا اتامله فى اهتمام ، وانا انطلق بالسيارة ..

كان نحيـــلا ، طويل القامة ، تشف ملامحـــه عن شىء من الصرامة والقسوة ..

وكمحاولة لاجتذاب وده ، سألته :

ــ هل تستمع إلى بعض الموسيقى ؟

اومأ براسه إيجابا ، دون ان ينطق بحرف واحـــد ، فأدرت المذياع فى هـــدوء ، ورحت ابحث بين موجـــاته عن البرنامج الموسيقى ، حتى توقفت عند موجة تنبعث منها الموســـيقى فى نعومة ، وواصلت سيرى بالسيارة فى صـــمت ، حتى توقفت الموسيقى فجأة ، وراح المذيع يقول :

ــ سيداتى آنساتى سادتى .. اصدرت وزارة الداخليـــة اليوم بيانا ، تحذر فيه المواطنين من سفاح هارب .

بدا التوتر على وجه الرجل ، واعتدل يستمع فى اهتمام ، والمذيع يتابع :

ــ وهذا السفاح مصاب بجنون شديد الخطورة ، على الرغم من مظهره العادى ، فهو نحيل ، طويل القامة ، و ...

اختلست النظر إلى وجه الرجل ، الذى عقد حاجبيـــه فى شدة ، ومال براسه إلى الأمام فى تحفز ، وراحت يداه تبحثان عن شىء مجهول ، والمذيع يردد :

ــ وهـــذا السفاح ، الذى فر مســـاء اليوم من مستشفى الأمراض العقليـــة ، من النوع الدموى ، الـــذى يحب إراقة

الدماء ، والقتل لمجرد القتل ، ويقول علماء النفس إن هذا النوع من القتلة المصابين بالجنون ، يحمل فى اعماقه نزعة سادية ، وعشقا لتعذيب الآخرين ورؤية الدماء ، و ..

كان جارى قد اعتدل فى حدة ، عند هـــذه النقطة ، وراح يتطلع إلى وجهى فى توتر ، ويده تمســـك واحـــدا من المفاتيح المعدنية ، التى تستخدم لإصلاح السيارة ، وترتفع نحوى ..

وفجأة ضغطت انا كامح سيارتى ، وتوقفت الســـيارة فى عنف ، واندفع جسد الرجل إلى الأمام ، وعنـــدما اعتـــدل فى سرعة ، كانت يدى ترتفع فوق راسه بقضيب معدنى ثقيل ..

واتسعت عيناه فى شدة ..

وهويت على راسه بالقضيب المعدنى ..

وتحطمت جمجمته فى صوت مسموع ..

وتفجرت منها الدماء ..

ولكننى لم أتوقف ..

رحت اضربه واضربه .. واضربه ..

والمذيع يتابع :

ــ ووزارة الداخلية تطلب من المواطنين عدم استفزاز ذلك السفاح ، خشية ان يواجههم بالعنف ، فهو ــ كما سبق ان اشرنا ــ يحب رؤية الدماء .

تبا لهؤلاء المسئولين .. كيف علموا اننى احب الدماء ..

وانطلقت من حلقى ضـــحكة عاليـــة مجلجلة ، وانا اضرب الجمجمة المحطمة فى عنف ..

والدماء تتناثر ..

وتتناثر ..

وتتناثر ..

اختبر معلوماتك

مرة اخرى يواجهك التحدى ، ويواجهك السؤال : هل انت مثقف أ..

ومرة اخـــرى نطالبك بأن تختبر هـــذا ، عبر مجموعة من الأسئلة ، تحتاج منك إلى خوض الصراع ، وشحذ عقـــلك ، و ...

فليبدأ الاختبار ..

* * *

١ ـ (إبرة العجوز) هو اسم لـــ :

☐ حشرة صغيرة جلدية الأجنحة .

☐ رواية لـــ (ڤيكتور هوجو) .

☐ نظرية مغناطيسية قديمة .

٢ ـ (ذات الهمة) هى :
- □ قبيلة اشتهرت فى العهد الجاهلى .
- □ اسم يطلق على أنثى الخيل النشطة .
- □ أميرة عربية ، تحدثت عنها أساطير العرب قديما .

٣ ـ يطلق اسم (فاو) على :
- □ منطقة شديدة الحرارة ، فى جنوب شرق آسيا .
- □ منظمة الأغذية والزراعة .
- □ الفيروس المسبب للأنفلونزا الحديثة .

٤ ـ (جريمة فى قطار الشرق) ، اسم رواية شهيرة لـ :
- □ آرثر كونان دويل .
- □ الفريد هتشكوك .
- □ اجاثا كريستى .

٥ ـ الاسم الأول للموسيقار العالمى (بيتهوفن) هو :
- □ جان دى .
- □ لودفيج ڤان .
- □ آرثر كرو .

٦ ـ يطلق على علم الأساطير اسم :
- □ ميثولوچيا .
- □ انتومولوچى .
- □ باثولوچيا .

٧ ـ زوجة (اخناتون) فى التاريخ الفرعونى القديم هى :
- □ نفرو .
- □ نفرتيتى .
- □ نفرتارى .

٨ ـ قامت الثورة البلشيفية فى (روسيا) عام :
- □ ١٩١٢ م .
- □ ١٩٠٥ م .
- □ ١٩١٧ م .

٩ ـ (حديث القمر) ، اسم لكتاب من النثر الشعرى ، وضعه :
- □ مصطفى صادق الرافعى .
- □ عباس محمود العقاد .
- □ مصطفى لطفى المنفلوطى .

١٠ـ أول مجلة تصدر باللغة العربية هى :
- □ التنكيت والتبكيت .
- □ البيان .
- □ يعسوب الطب .

١١ـ أول من صمم طائرة نفاثة هو :
- □ الإنجليزى (هلمن) .
- □ الألمانى (سيمتز) .
- □ الإيطالى (كمبينى) .

١٢ـ (هورديوم ساتيڤم) هو الاسم العلمى لنبات :
- □ الشعير .
- □ القمح .
- □ الذرة .

١٣ـ ولد الكاتب والفيلسوف المصرى (توفيق الحكيم) عام :
- □ ١٨٨٩ م .
- □ ١٨٩٨ م .
- □ ١٩٠٠ م .

١٤ـ إله القمر ، فى المعتقدات المصرية القديمة هو :
- □ تحوت .
- □ آمون .
- □ باستت .

١٥ـ أطلق اسم (عذراء أورليان) أو (عذراء اللورين) على :
- □ مارى انطوانيت .
- □ سيمون دى بوفوار .
- □ جان دارك .

١٦ـ معاهدة (جنت) : هى المعاهدة التى أنهت الحرب عام ١٨١٢ بين :

- ☐ (إنجلترا) و (امريكا) .
- ☐ (إنجلترا) و (فرنسا) .
- ☐ (فرنسا) و (اسبانيا) .

١٧ـ وزير الدعاية فى (المانيا النازية) ، إبان الحرب العالمية الثانية هو :

- ☐ رودلف هيس .
- ☐ بول جوزيف جوبلز .
- ☐ دوينتز .

١٨ـ إله المطر والرعد ونمو الحقول ، فى الأساطير الرومانية هو :

- ☐ مارس .
- ☐ أبوللو .
- ☐ چوبيتر .

١٩ـ لقى الزعيم الهندى (غاندى) مصرعه قتلا ، عام :

- ☐ ١٩٤٨ م .
- ☐ ١٩٢٠ م .
- ☐ ١٩٣٦ م .

٢٠ـ يطلق أطباء علم النفس على الخوف المرضى اسم :

- ☐ مانيا :
- ☐ فوبيا .
- ☐ سيكوزيس .

* * *

والآن عزيزى القارىء .. راجع الأجوبة فى ص (٢٢١) ، وهكذا تكون قد عرفت حقا ، هل أنت مثقف أم ... ؟

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

العقرب

الإمبراطورة الجزء الأول

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

١ ـ صـورة..

اطلقت (غادة) زفرة ارتياح قوية ، وهى توقف سيارتها الصغيرة ، إلى جانب الإفريز المواجه للبناية الشاهقة ، التى اتخذ (نديم فوزى) من إحدى شققها مكتبا للمحاماة ، وغادرت السيارة وهى تقول فى سخرية :

ـ من الطريف ان يحسدك الكثيرون ، على حصولك على مكتب فى وسط المدينة ، وانت تلعن هذا كل صباح ، فى اثناء بحثك عن مكان توقف فيه سيارتك .

اتجهت فى نشاط إلى البناية ، واستقلت مصعدها إلى الطابق الذى يحوى المكتب ، ودلفت إلى المكان فى سرعة كعادتها ، وهى تهتف :

ـ صباح الخير يا عم (احمد) .. هل وصل الأستاذ (نديم) ؟

ابتسم عم (احمد) ، عامل المكتب العجوز ، وهو يقول :

ـ فى الثامنة تماما كالمعتاد .

اطلقت ضحكة مرحة ، وهى تتجه إلى حجرة مكتب (نديم) ، قائلة :

ـ ماذا سيفعل عندما يمتلىء المكتب بالعملاء ؟

قالتها وهى تفتح باب حجرة (نديم) ، الذى رفع عينيه إليها فى هدوء ، واطلت منهما ابتسامة ترحيب كبيرة ، لم تنتقل إلى شفتيه ابدا ، و (غادة) تقول :

ـ صباح الخير يا محامى الضعفاء .. الم تأتك بعد قضية مثيرة ؟

هز كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ كلها مجرد قضايا عادية .

جلست على المقعد المقابل لمكتبه ، وهى تقول مبتسمة :

ـ هذا امر طبيعى ، فلن تواجه دائما رجــالا مثل (نعمان والى) و (صالح عثمان) ..

قال فى هدوء :

ـ هذا صحيح .

التقطت من حقيبتها عددا من الصحف والمجلات ، دفعتها امامه ، وهى تقول :

ـ ها هى ذى كل صحف ومجلات اليوم كالمعتاد ، ما دمت تصر على قراءة كل حرف مطبوع فى (مصر) كلها .

التقط صحيفة يومية شهيرة ، وهو يقول :

ـ من الضرورى ان يتابع المرء ما يدور حوله اولا فأولا .

غمغمت مبتسمة :

ـ ربما .

والتقطت واحـدة من المجـلات الفنية المعروفة ، وراحت تتصفحها فى صمت ، فى حين راح هو يلتهم اسطر الصـحيفة بعينيه فى سرعة واهتمام ، حتى سمعها تقول :

ـ طريفة هى اخبار اهل الفن .. اتصدق ان تلك النجمة السينمائية ، التى صارت رمزا للجمال هذه الأيام ، تقيم حفلا للاحتفال بعيد ميلادها ، للمرة الثانية خلال ستة اشهر ؟

تمتم فى ضجر :

ـ إنها تبدو لى اخبارا سخيفة .

ضحكت قائلة :

ـ الأسخف من هذا انها قد اقامت الحفـل فى الصـحراء المتاخمة للهـرم ، داخل خيمة كبـيرة ، اشبه بليالى الف ليلة وليلة ، وحضر الحفل لفيف من رجال المجتمع وسيدات الـ ..

بترت عبارتها بغتة ، مع شهقة قصيرة ، جعلت (نديم) ينحى صحيفته جانبا ، ويتطلع إليها فى حيرة ، لم تلبث ان تحولت إلى مزيج من الدهشة والقلق ، عندما رآها تحدق فى واحدة من الصور الملونة الأنيقة ، التى نشرتها المجلة لحفل النجمة

السينمائية الجميلة ، وقد اتسعت عيناها فى شدة ، فمال نحوها ، يسألها :

ــ ماذا هناك يا (غادة) ؟

أدهشته ارتجافة أصابعها ، ونبرة البغض الشديدة فى صوتها ، وهى تشير إلى إحدى الصور ، قائلة :

ــ هذه السيدة .

مال أكثر يتطلع إلى السيدة التى تشير إليها (غادة) ، ورأى أمامه وجها مألوفا ، لسيدة فى الأربعينات من عمرها ، ولكنها تحتفظ بجمال واضح ، وحيوية تنقص من عمرها عشر سنوات على الأقل ، وقد بدت فى الصورة مبتسمة ، يتألق شعرها الأشقر فوق رأسها كتاج من الذهب الناعم ، وينسدل بعضه على كتفيها ، اللذين يحيط بهما معطف من الفراء الثمين ، ويتدلى من أذنيها قرطان كبيران ، يشف تألقهما على أنهما من الماس الخالص ..

كان كل شىء فى الصورة يؤكد ثراء تلك السيدة الفاحش ، وموقعها المتميز فى المجتمع ..

وعلى نحو غريزى انخفض بصر (نديم) إلى التعليق أسفل الصورة ، وقرأ ما يشير إلى أن اسم هذه السيدة هو (چيلان شوكت) ، وأنها واحدة من أكثر سيدات المجتمع القاهرى شهرة وثراء ، وأنها صاحبة عدة متاجر شهيرة فى (مصر) ، تختص كلها بأزياء السيدات والمجوهرات وأدوات الزينة ..

وفى مزيد من الحيرة ، عاد (نديم) يرفع عينيه إلى (غادة) ، ويسألها :

ــ ماذا عن هذه السيدة ؟

تقاطر البغض مع حروف كلماتها ، وهى تغمغم :

ــ لعنة الله عليها .

ودفعت المجلة جانبا ، ونهضت فى حدة ، واتجهت نحو نافذة الحجرة ، وهى تقول فى مرارة وكراهية :

ــ لا تجعل جمال تلك المرأة واسمها يخدعانك ، فهذا الشعر الأشقر مصبوغ ، وتلك العيون الزرقاء مجرد عدسات ملونة ، واسمها ليس (چيلان شوكت) ، ولم يكن أبدا كذلك .

سألها فى اهتمام مشوب بالحيرة والفضول :

ــ وما الذى يدفعك إلى بغضها على هذا النحو ؟

قالت فى غضب وحزن شديدين :

ــ لقد قتلت أحب مخلوقات الدنيا إلى قلبى .

وخفضت عينيها ، وسال الدمع من كلماتها ، وهى تستطرد :

ــ قتلت أمى .

وجاء دور (نديم) ، لتتسع عيناه عن آخرهما ..

* * *

مضت فترة طويلة من الصمت الثقيل ، و (نديم) يحدق فى (غادة) ، التى توليه ظهرها ، متطلعة عبر نافذة الحجرة إلى الخارج ، ثم تجاوز (نديم) مكتبه ، واتجه إليها فى هدوء وصمت ، ووضع يده على كتفها ، يقول فى حنان :

ــ (غادة) .

استدارت إليه فى بطء ، وهاله مرأى فيض الدموع ، الذى يسيل من عينيها الجميلتين ، ويغرق وجهها الصبوح ، فهتف مرة أخرى :

ــ (غادة) ؟!

تمنت هى ــ فى تلك اللحظة ــ لو أنه احتواها بين ذراعيه ،

وضمها إلى صدره فى حنان ، ولكنها كانت واثقة من ان طبيعته الرصينة ستمنعه من فعل هذا ، لذا فقد ازاحت كفه عن كتفها فى رفق ، ومسحت دموعهـا بأناملهـا ، مغمغمة فى شىء من الخشونة .

ـ ماذا تريد ؟

اجابها فى هدوء ، يحمل الكثير من حزمه التقليدى :

ـ اريد معرفة كل شىء .

غمغمت :

ـ عن ماذا ؟

اجاب فى حزم :

ـ عن القصة كلها .. قصة (امك) و (چيلان) .

تنهدت فى حزن ، واتجهت مرة اخرى نحو المقعـد المجاور لمكتبه ، والقت جسدها فوقه ، وهى تقول فى انفعال :

ـ كان هذا منذ عشر سنوات ، عندما كانت امى اشـهر صحفية فى (مصر) ، وكانت تشتهر بحزمها الشديد فى معالجة الأمور ، وكراهيتها الشديدة للجريمة والمجرمين .. ولقد بدأت امى ـ حينذاك ـ سلسلة من المقالات ، تتحدث فيها عن جريمة بشعة ، فى حق الاقتصاد المصرى ، وصفتها ايامها بانها خيانة عظمى للوطن وامنه الاقتصـادى ، وجريمة تفوق الاتجار فى المخدرات ، الا وهى تزوير النقد المصرى والأجنبى ، وغمـر الأسواق الاقتصادية فى مصر بملايين الجنيهـات والدولارات المزيفة ، التى تضعف قيمة النقد وتؤدى إلى حدوث تضـخم مالى ، وانهيار اقتصادى و ..

بترت عبارتها ، والتقطت انفاسها اللاهثة فى فرط الانفعال ، ولوحت بذراعها مستطردة :

ـ انت تفهم هذا بالطبع .

اومأ براسه فى هدوء ، وقال :

ـ نعم .. افهم .

التقطت نفسا عميقا ، ملأت به صدرها ، ثم تابعت :

ـ كشفت امى كل ما يحدث ، فى عالم التزوير والتزييف ، واعلنت فى مقالاتها انها سـتكشف اسم الزعيمة الغامضـة الشرسة ، التى تختفى خلف كل هذا ، مما الهب حماس القراء ، فراحت اسئلتهم ورسـائلهم تنهال على امى هاتفيا وبرقيـا وبريديا ، والجميع يناشدونها كشف الاسم وإزاحة الستار ، ولكنها اصرت على ان تحتفظ بالاسم سرا ، حتى المقال الأخير ، ورفضت الجهر به ، حتى لرئيس التحرير ورئيس قسم مكافحة التزييف والتزوير فى مديرية الأمن نفسها .

ازدردت لعابها مرة اخرى ، ثم اضافت فى مزيد من الانفعال :

ـ وفى الوقت نفسه تلقت امى عدة تهديدات بالقتل ، لو انها اصرت على المضى فى نشر مقالاتها هذه ، ولكنها استقبلتها فى عناد ، وبعثت فيها التهديدات مزيدا من الإصرار على مكافحة زعيمة هذه العصابة المدمرة للاقتصاد .

صمتت لحظة ، ازدردت خلالها لعابها ، واغرورقت فيهـا عيناها بالدموع مرة اخرى ، قبل ان تستطرد :

ـ وذات يوم ، كانت امى توصلنى بسيارتها إلى مدرستى الثانوية ، قبل ان تنطلق إلى جريدتها ، عندما اعترضت طريقنا سيارة فارهة ، قفز منها اربعة رجال ، صوبوا إلينا اسلحتهم ، واجبرونا على التوقف ، قبل ان تغادر السيارة سيدة انيقة ، سوداء الشعر والعينين ، تطلعت إلى امى بنظـرة سـاخرة شامتة ، وهى تقول : « لقد حذرتك » .. ووجدت امى تهتف

فى وجههـــا : « لن يمنعنى شىء من فضـــح كل جرائمـــك يا (فوقية) .. لقد كشفت كل اوراقك ، و ... » .

صمتت (غادة) بغتة ، وراحت تمسح دموعها فى عصبية ، وهى تعض شفتها السفلى حتى تكاد تدميها ، فربت (نديم) على كتفها مهدئا ، وهو يقول :

ـــ وماذا ؟

هزت راسها ، وكأنها تنفى شيئا ما ، ثم قالت :

ـــ لم تزد امى حرفا واحدا .. لقد اخرجت تلك اللعينـــة (فوقية) من معطفها مسدسا صغيرا ، واطلقت ضحكة ساخرة شامتة ، ثم اطلقت منه رصاصة غادرة اخترقت راس امى مباشرة ..

انخرطت فجاة فى بكاء حار ، وراحت تنتحب فى شدة ، وهى تدفن وجهها فى راحتيها ، وكأنما تحاول منع عقلها من استعادة الذكريات الحزينة المؤلمة ، فتنهد (نديم) ، وعاد يلتقط المجلة ، ويتطلع إلى صـــورة (چيلان شـــوكت) فى اهتمام ، قبل ان يقول :

ـــ إذن فانت تعنين ان (چيلان) هذه هى نفسها (فوقية) ، التى قتلت امك .

اومات براسها إيجابا ، فقال فى اهتمام :

ـــ انت واثقة تماما ؟

قالت فى حدة :

ـــ لن انسى ابدا وجه المراة ، التى قتلت امى امام عينى .

تطلع إليها لحظات فى إشفاق ، ثم القى المجلة على سطح مكتبه ، وهو يسالها :

ـــ ولكن كيف لم تنتبهى إلى هذا من قبل ؟ .. إن اخبـــار

(چيلان شـــوكت) تملأ صـــفحات الاجتماعيات ، منذ خمس سنوات على الأقل .

هزت راسها ، قائلة :

ـــ لست اتابع تلك الصفحات .

والتفتت إليه مستطردة فى حدة :

ـــ ثم إنه من المفروض ان (فوقية رضوان) هذه قد لقيت مصرعها بعد اشهر قليلة من قتل امى .

رفع حاجبيه هاتفا :

ـــ لقيت مصرعها ؟!

اومأت براسها إيجابا ، وقالت :

ـــ هذا ما تم إعلانه رسميا ، فلقد اصابتنى حالة من الانهيار العصبى الشديد ، عندما رايت امى تلقى مصرعها امام عينى ، ورحت اصرخ فى رعب وهلع ، مما دفع المجرمين إلى الفرار ، ولست ادرى كيف لم تقتلنى تلك الافعى الوحشية ـــ آنذاك ـــ تخلصـــا من دليـــل إدانتها ، ولكننى لم اكد اســـتعيد وعيى فى المستشفى ، حتى ابلغت رجال الشرطة بكل ما حدث ، وكل ما امكننى وصفه من ملامح المراة واســـمها .. وبذلت الشرطة مساعيها كلها للبحث عنها ، حتى اعلنت الصحف خبر وفاتها .

ازدردت لعابها مرة اخرى ، واضافت فى انفعال :

ـــ طالعنى وجهها فى صفحة الوفيات ، واســـفله اســـمها بالـــكامل ، وبعض البيانات عنهـــا ، فاسرعت ابلغ رجـــال الشرطة ، الذين تحروا الأمر ، وعلموا انها قد لقيت مصرعهـــا فى حادث سيارة ، ولكننى اعربت عن شـــكوكى فى موتهـــا ، فاستخرج رجال الشرطة إذنا من النيابة باستخراج جثتهـــا وفحصها .

سألها فى اهتمام : ـ وهل فعلوا ؟

تنهدت قائلة :

ـ نعم ، ولكن هذا لم يسفر عن الكثير ، فلقد كانت الجثـة مشوهة الوجه ، محطمة الأطراف ، بفعل الحـادث ، إلا أن الطبيب الشرعى قد استند إلى تطابق المقاييس والعمر ، وأعلن أن الاحتمال الأرجح هو أن الجثة لـ (فوقية) .. وهـكذا أغلقت الشرطة ملف العملية كلها .

تردد لحظة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ أليس من المحتمل أنها قد لقيت مصرعها بالفعل ؟

التفتت إليه بنظـرة غاضـبة ، وانـدفعت نحو المجلة ، والتقطتها فى حدة ، وصاحت مشيرة إلى الصورة :

ـ هذا ما استكنت إليه أنا أيضا ، طيلة السنوات العشر الماضية ؛ إلا أننى لم أكد أرى صورتها حتى فهمت اللعبة كلها .. صدق أو لا تصدق أيها المحامى العنيد ، ولكن هذه الشقراء الفاتنة هى نفسها زعيمة أكبر شبكة تزوير وتزييف نقد فى مصر سابقا ، والله (سبحان وتعالى) وحده يعلم ، أى عمل قـذر تتزعمه هذه الأيام !

تطلع إلى وجه (غادة) لحظات فى صمت، ثم تنهد فى عمق، وقال:

ـ لا بأس .. معرفة الحقيقة هذه المرة تحتاج إلى أساليب قد لا يقرها القانون المكتوب .

واتجه فى هدوء نحو جانب من الحائط ، وضغط زرا خفيا فيه ، فانزاح جزء منه ، كاشفا فجوة خاصة استقر داخلها زى العقرب ، وقناعه الأسود المخيف ، و (نديم) يضيف فى حزم :

ـ إنه يحتاج إلى هذا الزى .. إلى (العقرب) .

***

٢ ـ المناورة الأولى ..

« .. (نديم فوزى) ؟! .. »

رددت (چيلان شوكت) هذا الاسم فى حيرة ، وهى تلقى نظرة طـويلة على بطاقة (نديم) الأنيقة ، التى حملهـا إليها سكرتيرها الخاص (هانى) ، قبل أن تستطرد فى تساؤل ، وهى ترفع عينيها إلى (هانى) :

ـ وماذا يريد (نديم) هذا ؟

أجابها (هانى) فى هدوء :

ـ يقول إنه يطلب مقابلتك لأمر عاجل وخاص للغاية .

رددت مرة أخرى :

ـ عاجل وخاص ؟!

ثم سألت (هانى) فى اهتمام :

ـ هل أخبرته بضرورة تحديد موعد سابق للمقابلة ؟

أومأ (هانى) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم ، ولكنه قال إن ما لديه أخطر من أن يحتمل الانتظار .

عقدت حاجبيها فى توتر ، وهى تستمع إلى العبارة الأخيرة ، وراحت أظفارها المصبوغة تنقر سطح مكتبها فى عصبية ، ولم تلبث أن التقطت من علبة سجائرها سيجارة إنجليزية الصنع ، أشعلتها بقداحة تحمل الحرف الأول من اسمها ، وذفنت دخانها فى قوة ، قبل أن تقول :

ـ فليكن .. سألتقى به .

قال (هانى) فى روتينية :

ـ كما تأمرين يا سيدتى .

استدار ليغادر حجرة مكتبها ، ولكنها استوقفته ؛ لتسأله فى اهتمام :

— قل لى : كيف يبدو (نديم فوزى) هذا ؟

هز كتفيه فى هدوء ، وقال :

— إنه نحيل بعض الشىء ، وسيم ، حازم القسمات ، يبدو صلبا ، قوى الشكيمة ، على الرغم من هدوئه الشديد .

ابتسمت ابتسامة عصبية ، وهى تقول :

— هل لاحظت كل هذا من النظرة الأولى ؟

اجابها فى بساطة :

— إنه عملى .

اومأت براسها متفهمة ، وقالت :

— لا بأس .. دعه يدخل ؛ فانا فى غاية الشوق لسماع ما لديه .

غادر (هانى) المكتب ، ونفثت هى دخان سيجارتها مرات اخرى فى قلق ، حتى رات (نديم) يعبر باب مكتبها بقامته المشوقة ، ووسامته الواضحة ، فتركز بصرها عليه ، وكأنما تحاول سبر غوره بنظراتها ، ثم لم تلبث أن رسمت على شفتيها ابتسامة جذابة ، وهى تمد يدها إليه ، قائلة :

— صباح الخير يا أستاذ (نديم) .. هل لى أن افهم سر هذه الزيارة المفاجئة ، ومعنى وصفك ما لديك بانه بالغ الخطورة .

صافحها (نديم) فى هدوء ، وهو يقول :

— سأخبرك بكل شىء يا سيدتى :

ثم جلس على المقعد المقابل لمكتبها ، وهو يضيف :

— الواقع أن مهمتى محرجة بعض الشىء .

جلست على المقعد الفاخر ، خلف مكتبها ، وهى تسأله فى قلق :

— ماذا تعنى بقولك هذا ؟

سألها بغتة :

— اخبرينى اولا : هل (چيلان شوكت) هو اسمك الحقيقى ؟

كان من الواضح أن السؤال قد جاء مباغتا إلى اقصى حد ، وانها لم تكن تتوقع حرفا واحدا منه ، فقد فغرت فاها ، وازدادت عيناها اتساعا فى ذهول ، وتجمدت أطرافها كلها دفعة واحدة ، واحتبس دخان سيجارتها فى حلقها لحظات ، حتى انها سعلت بعدها فى قوة ، وحاولت أن تبتسم فى عصبية ، وهى تقول :

ــ اى سؤال هذا ياسيد (نديم) ؟

اجابها فى هدوء :

ــ يمـكنك ان تقـولى إنه السـؤال الرئيسى فى لقـائنا يا سيدتى .

سحبت انفاس سيجارتها فى قوة ، ولفظتهـا كنافورة من الدخان ، قبل ان تقول فى عصبية واضحة :

ــ لاحظ اننى لم اعرف بعد سبب هذا اللقاء ، وان وقتى اضيق من ان اضيعه دون ان ..

قاطعها فى هدوء اقرب إلى البرود :

ــ الواقع اننى هنا لرفع قضية ضدك .

مرة اخرى جاءت عبارته مفاجئة لها ، فاتسـعت عيناها كثيرا ، ثم اطفأت سيجارتها فى عنف ، وقالت فى حدة :

ــ اسمع يا استاذ (نديم) .. إننى ابغض تلك الأسـاليب الملتـوية السخيفة ، واكره اكثر الاعيب المحـامين الصغار امثالك ؛ ولهذا وذاك سأمنحك دقيقة واحدة ، تشرح لى خلالها ما لديك فى كلمات موجزة ، وإلا فسآمر رجالى بإلقائك خارجا ، حتى ولو كنت قاضى القضاة نفسه .

لم يبد عليه ادنى اهتمام بتهديدها ، وهو يقول فى هـدوئه التقليدى :

ــ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التوتر يا سيدة (چيلان) .. كان يمكنك ان تصبرى لحظات ، وكنت سأشرح لك كل شىء ، فلقد اخبرتك اننى هنا لمقاضاتك ، لحساب واحدة من عميلاتى ، تؤكد ان لديها من الوثائق ما يثبت انك ..

صمت لحظة ، وراقب تلك اللهفة الشديدة ، التى ارتسمت على وجهها ، قبل ان يضيف فى حزم :

ــ انك لست فى الواقع (چيلان شوكت) .

بدا التوتر على وجـه (چيلان) ، وإن حاولت ان تخفيـه بضحكة عصبية ، وهى تقول بصوت اجش منفعل :

ــ ما أطرف هذا !! .. من انا إذن ؟

اتاها الجواب من بين شفتيه كالرصاصة ، وهو يقول :

ــ فوقية .. (فوقية رضوان) .

كان من الواضح ان المفاجأة اقوى مما تحتمل هذه المرة ، فقد انتفض جسدها كله فى قوة ، واتسعت عيناها فى شدة ، وهى تحدق فى وجه (نديم) بعينين كادتا تجحظان او تقفزان من محجريهما ، وتصرخ :

ــ من ؟!

وبسرعة لم يكن يتوقعهـا (نـديم) ، تلاشى كل هـذا ، واستعادت (چيلان) هدوءها كله دفعة واحدة ، وقالت :

ــ اى سخف هذا ؟!.. إننى لم اسمع هذا الاسم قط ، فى حياتى كلها .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ موكلتى تؤكد ان ..

قاطعته فى حدة :

ــ قل لها : ان تلقى بنفسها فى البحر .

رفع عينيه إليها ، وهو يقول فى صرامة :

ــ كنت اظننا سنتوصل إلى اتفاق .

لوحت بذراعها هاتفة :

ــ بشأن ماذا ؟

هز كتفيه ، قائلا :

ــ بخصوص هذه الوثائق .

صرخت غاضبة :

ـ إنها لا تعنينى فى شىء .. قل لها : أن تشعل بها النيران، وتستخدمها لعمل قدح من الشاى .. ربما كان هذا أجدى .

نهض فى هدوء ، وقال :

ـ فى هذه الحالة أجد نفسى مضطرا للانصراف .

قالت فى غضب :

ـ هذا أفضل من أن ألقى بك خارجا .

حملت عيناه إليها ابتسامة ساخرة ، لم تفصح عنها شفتاه ، وهو يقول :

ـ إنه أفضل بالتأكيد .

انصرف فى هدوء ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى التقطت هى سماعة الهاتف ، وضغطت أزراره فى عصبية ، ولم تكد تسمع صوت محدثها حتى قالت :

ـ إنه أنا يا (أكرم) .. اسمعنى جيدا .. لقد ارتفع صوت من الماضى ، يهدد بهدم الحاضر ، ومن الضرورى أن نخرسه ، إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل .. وأنا أنتظرك لنتباحث فى هذا الشأن ، ولنحسم أمر صوت الماضى هذا الليلة ..

* * *

استمعت (غادة) إلى (نديم) فى اهتمام ، وهتفت فى حدة :

ـ إنها تناور ولا شك .. من المؤكد أنها تشعر بقلق شديد لما أخبرتها به ، ولكنها تتظاهر بعدم الاهتمام ، حتى تقتل الشكوك داخلك .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ أعلم هذا .

حدقت فى وجهه لحظة ، وهتفت فى ارتياح :

ـ إذن فأنت تصدق قصتى .

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ إننى لم أشك فى قصتك لحظة واحدة يا (غادة) ، ولكننى أضع دائما كل الاحتمالات أمامى ، ومنها احتمال الخطأ البشرى ، والتشابه بين امرأة وأخرى ، وهما احتمالات يعنيان أننا سنواجه امرأة بريئة ، ونقاتلها بلا رحمة ، لمجرد أنها تشبه قاتلة قديمة ، ولهذا السبب بالذات ذهبت لمقابلة (چيلان شوكت) ، وواجهتها بذلك الأسلوب المفاجىء الهجومى ، حتى أرى ردود أفعالها ، وأتيقن مما نحن بصدده ، ولقد كان من الواضح أنها تخفى أمرا ما ، وانفعالها العنيف ، عند ذكر اسم (فوقية رضوان) يكفينى لتحديد موقفى منها .

ابتسمت فى ارتياح ، وقالت :

ـ إنه لا يكفى كدليل قانونى .

أجاب فى حزم :

ـ إننا هنا بصدد العدالة لا القانون .

تطلعت إليه لحظات فى هدوء ، ثم قالت :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله (العقرب) مع (چيلان شوكت) ؟

قال فى هدوء :

ـ الكثير .

قبل أن يستطرد فى حديثه ، سمع الاثنان دقات عم (أحمد) على باب حجرة مكتب (نديم) ، فرفع هذا الأخير عينيه إلى الباب ، وقال :

ـ ادخل يا عم (أحمد) .

دخل العامل العجوز ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، وهو يقول :

ــ زميل لك يطلب مقابلتك يا أستاذ (نديم) .

سأله (نديم) فى هدوء :

ــ زميل لى أنا ؟ .. من هو ؟

فجأة اقتحم رجل ممتلىء الحجرة ، وبدا شعره الأشيب متناقضا تماما مع حاجبيه السوداوين الكثين ، وهو يهتف :

ــ (أكرم منصور) يا أستاذ (نديم) .. المحامى الخاص لمجموعة شركات السيدة (چيلان شوكت) .

بدا الضيق على وجه عم (أحمد) ، لاقتحام الرجل الحجرة على هذا النحو ، وعقدت (غادة) حاجبيها فى توتر ، وهى تتطلع إلى وجه (أكرم) ، فى حين بدا (نديم) شديد الهدوء ، إلى حد مثير للأعصاب ، وهو يقول لعم (أحمد) :

ــ شكرا ياعم (أحمد) .. لقد أصبح الزميل فى الحجرة بالفعل ، ويمكنك أن تعد له قدحا من الشاى ، حتى ننتهى من حديثنا .

تراجع عم (أحمد) ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى (غادة) فى اهتمام بالغ ، حتى سأله (نديم) :

ــ فى أى شأن أرسلتك السيدة (چيلان) يا أستاذ (أكرم).

أدار (أكرم) عينيه بسرعة عن وجه (غادة) ، وابتسم ابتسامة مدروسة منمقة ، وهو يقول :

ــ إنه أمر يحتاج إلى حديث خاص يا أستاذ (نديم) .

أشار (نديم) إلى (غادة) وقال :

ــ الآنسة (غادة) هى شريكتى ، وزميلتى فى العمل .

التفت (أكرم) مرة أخرى إلى (غادة) ، وسألها :

ــ (غادة) ماذا ؟

أجابته فى صرامة :

ــ (غادة) فقط .. لست تحتاج إلى معرفة الباقى .

ابتسم (أكرم) ابتسامة غامضة ، وقال :

ــ بالتأكيد .

ثم أعاد بصره إلى (نديم) ، مستطردا :

ــ هل يمكننا أن نتحدث أمامها ؟

قال (نديم) :

ــ وبكل الوضوح والصراحة .

اتسعت ابتسامة (أكرم) الغامضة ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل .

وجلس على المقعد المقابل لمكتب (نديم) ، متابعا :

ــ قل لى يا أستاذ (نديم) : كم تطلب مقابل الإفصاح عن شخصية عميلتك ، التى تزعم انتحال موكلتى لاسم وشخصية مختلفين ؟

قال (نديم) فى هدوء :

ــ إننى أفضل الاحتفاظ باسم عميلتى سرا .

قال (أكرم) فى خبث :

ــ أيا كانت قيمة المبلغ ؟

أجاب (نديم) فى برود :

ــ أيا كانت ؟!

كان هو و (غادة) يتوقعان مساومة طويلة فعالة ، تكشف عن مدى اهتمام (چيلان) بمعرفة شخصية من تحمل دلائل

إدانتها ، إلا انهما فوجئا بـ (اكرم) ينهض على الفور ، ويقول فى لهجة غامضة :

ــ لا فائدة من المساومة إذن .

قال (نديم) فى بساطة :

ــ اظن هذا .

حمل (اكرم) حقيبته ، واتجه على الفور إلى باب الحجرة ، قائلا :

ــ إلى اللقاء إذن .

ولم يكد يفتح الباب حتى توقف ، والتفت إلى (غـــادة) ، وابتسم ابتسامة اكثر غموضا ، وهو يستطرد :

ــ وانا واثق من اننا سنلتقى قريبا جدا يا آنسة (غادة) .. اقرب مما تتصورين .

واغلق الباب خلفه فى ضجيج ..

والتفتت (غادة) إلى (نديم) تقول فى توتر :

ــ هذا الرجل يثير فى نفسى خوفا مبهما .

اجابها (نديم) فى حزم :

ــ وشيئا من الاشمئزاز .

ثم نهض إلى حيث يخفى زى العقرب ، مستطردا :

ــ واظن انه من الضرورى ان يبدأ (العقرب) عمله ، قبل ان تنفتح الأبواب .

واضاف وهو يضغط زر الخزانة الخفية :

ــ ابواب الجحيم ..

***

٣ ــ شبح الماضى ..

احتقن وجه (چيلان) ، وشملها انفعال شديد ، وهى تهتف فى وجه (اكرم) :

ــ هل انت واثق ؟ .. هل تأكدت من هذا ؟

ابتسم (اكرم) فى ثقة ، وهو ينفث دخان سيجارته ، قائلا :

ــ تمام الثقة ، ثم إننى لم اكن بحاجة للتأكد ، فالابنة صورة طبق الأصل من امها ، حتى اننى لم اكد اراها حتى خيل إلى ان الصحفية العنيدة قد عادت من قبرها .

شردت ببصرها قائلة :

ــ ومن أدراك أنها لم تعد .

وزفرت فى قوة ، مستطردة :

ــ إذن فتلك العميلة الغامضـــة هى (غادة) ، ابنة تلك الصحفية المغرورة ، التى تصورت يوما قدرتها على تحطيـم الإمبراطورة .

قال (اكرم) فى هدوء :

ــ لقد نالت جزاءها .

لوحت بكفها ، قائلة :

ــ والابنة الآن تنبش تاريخ امها ، وتسعى لانتقام اسطورى انيق ، يشفى غليلها .

اعتدل (اكرم) يسألها فى اهتمام :

ــ اتظنين انها تملك وثائق بالفعل ؟

هزت راسها نفيا ، وقالت :

ــ لا .. لست اظن هــذا .. لقد كانت محــاولة من ذلك المحامى الشاب ، لمعرفة رد فعلى ، عندما يخبرنى بما لديه .

واشعلت سيجارتها بدورها ، ونفثت دخانها فى قوة ، وهى تستطرد :

ــ كانت لعبة ذكية ، اتقن (نديم) هذا لعبها ، ولكننى لن اسمح له بالمضى فيها إلى النهاية .

سألها فى اهتمام اشد :

ــ ماذا ستفعلين ؟

ابتسمت ابتسامة شرسة ، وقالت فى لهجة حادة :

ــ ماذا تتوقع ان افعل ؟.. لقد دس هذا المحامى انفه فى شئونى ، ويسعى هو ورفيقتــه لتدمير الإمبراطورية التى اقمتها فى عشر سنوات كاملة ، ومن الطبيعى ان اسعى للدفاع عن إمبراطوريتى ، و ...

صمتت لحظة ، ثم اضافت فى وحشية مخيفة ، ارتجفت لها الدماء فى عروق (اكرم) فى شدة :

ــ وسحق اعدائى سحقا .

وكان هذا إعلانا لبدء الحرب ..

وفتح ابواب الجحيم ..

* * *

فتح (هانى) ، سكرتير (چيلان) الخاص ، باب شقته ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة حالمة ، بعد ان قضى ســهرة

جميلة مع خطيبته الحسناء ، وتمتم فى هيام ، وهو يغلق باب الشقة خلفه :

ــ كم هو جميل هذا الحب !!

لم يكد يضغط زر الإنارة ، حتى انتفض جسده انتفاضــة عنيفة ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، واتســعت عيناه فى شدة ، وقفز جسده كله إلى الخلف ، وارتطم بباب الشقة ، وقفزت يده نحو جيب سترته الداخلى فى سرعة ..

لقد راى امامه شبحا يتشح بالسواد ، ويخفى عينيه بقناع اسود سميك ..

وقبل ان تبلغ يد (هانى) جيب سترته الداخلى ، حيث يرقد مسدسه الخاص ، احاطت اصابع الشبح الأسود ، داخــل قفاز جلدى رقيق ، بمعصم (هانى) ، الذى سمع صوتا صارما قاسيا ، يقول :

ــ اهدأ يا رجل .. إننا سنتحدث قليلا فحسب .

ولكن (هانى) دفع (العقرب) الأسود فى صدره ، وصاح :

ــ ابتعد عنى .

ومرة اخــرى قفزت يده نحو جيب ســترته ، فى محــاولة لالتقاط مسدسه الخاص ، ولكن ..

هذه المرة هوت قبضة (العقــرب) على ذقنه ، فى لــكمة عنيفة ، القته ارضــا ، وامتدت اصابع العقــرب تنتزع منه مسدسه فى هدوء ، والصوت الصارم يقول :

ــ قلت لك اهدأ يا سيد (هانى) ، ولن يصيبك ادنى ضرر .

نهض (هانى) فى توتر ، وهو يتحسس موضع اللــكمة فى ذقنه ، وجلس على أول مقعد صادفه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟ .. لست احتفظ بنقـــود كافية هنا ، ولست امتلك ...

قاطعه (العقرب) فى صرامة :

ـ لقد اخطأت بتفسير الموقف ، فلست لصا ..

اشار إليه (هانى) ، وهو يقول :

ـ ما معنى الزى والقناع إذن ؟

اجابه (العقرب) :

ـ دعك منهما ، وانتبه إلى اسئلتى .

قال (هانى) فى عصبية :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟

مال (العقرب) نحوه ، وقال فى صرامة :

ـ كل شىء عن (چيلان شوكت) .. كل ما يمكنك إخبارى عنها .

مط (هانى) شفتيه ، وقال :

ـ إنه تجسس مهنى إذن .

هز (العقرب) راسه نفيا ، وقال :

ـ بل هو اكثر خطورة .. هيا .. هات ما لديك .

ارتسمت الصرامة على وجه (هانى) ، وقال فى حدة :

ـ ومن قال لك إننى أستطيع كشف اسرار المراة ، التى أعمل لحسابها ؟

رفع (العقرب) مســـدس (هانى) فى وجه هـــذا الأخير ، وجذب إبرته فى بساطة ، وهو يقول فى صرامة مخيفة ..

ـ ومن قال إنك تملك الخيار ؟

ازدرد (هانى) لعابه فى صعوبة ، وحاول ان يبدو شجاعا متماسكا ، إلا ان شحوبه ، وصوته المختنق قد خدعاه وكشفا امره ، وهو يقول :

ـ لن يفيدك ما ساخبرك به كثيرا ، فلست اعرف اكثر مما نشرته الصحف عنها عدة مرات .. لقد بدات عملى معها منذ عامين فحسب ، ووجدت انها سيدة اعمال من الطراز الأول ، تجيد اختيار المشاريع الناجحة ، وتربح منها الكثير ، ثم إنها سيدة مجتمع ايضا ، ولها العديد من المعارف والأصـــدقاء ، من ذوى النفوذ فى مختلف المجالات .

سأله (العقرب) .

ـ كم تبلغ ثروتها فى رايك ؟

هز (هانى) راسه ، وقال :

ـ لست ادرى بالتحديد ، ولكننى اظنها بالغة الثراء ، فهى تمتلك خمس شركات للأزياء وادوات الزينة ، وفيللا فاخرة فى (القاهرة) ، واخرى فى شاطىء (المعمورة) بـــ (الإسكندرية)، وثالثة فى ارقى احياء (باريس) ، وطائرة خاصة فى (روما) ، ومصنع لأدوات التجميل والزينة فى (تركيا) .

قال (العقرب) فى اهتمام :

ـ إنها تملك امبراطورية اقتصادية إذن ؟

اجابه (هانى) :

ـ إنها تستخدم المصطلح نفسه لوصف ممتلكاتها ، ويروق لها احيانا ان تطلق على نفسها اسم (الإمبراطورة) .

ردد (العقرب) فى خفوت :

ـ الإمبراطورة ؟!..

ثم ارتفع صوته الحازم ، وهو يستطرد :

ـ كيف كونت هذه الثروة الهائلة فى رايك ؟

ازدرد (هانى) لعابه مرة اخرى ، واجاب :

ـ يردد البعض انها كانت متزوجة من مليونير تركى ، اورثها كل ثروته ، التى استغلت بعضها لبدء نشاطها هنا .

غمغم (العقرب) :

ـ تغطية جيدة .

ثم سأله مرة اخرى فى حزم :

ـ أهذا كل ما تعلمه عنها ؟

أجابه (هانى) فى حدة .

ـ الباقى مجرد امور تتعلق بالعمل ، ولن اكشفها لك .

مال (العقرب) نحوه ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهـــو يقول :

ـ أتعنى انك لا تعلم حقيقة المراة ، التى تعمل لديها ؟

عقد (هانى) حاجبيه ، وقال فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟

اعتدل (العقرب) ، والتقط من جيبه بطاقة بيضاء انيقة ، يتوسطها رسم لعقرب ذهبى ، وناولها لـــ (هانى) مجيبا :

ـ ستعرف ما الذى اعنيه يوما ما يا رجل .. المهم ان تسلم هذه البطاقة لرئيستك ، وتخبرها اننى الآن خلفها .

حدق (هانى) فى البطاقة فى دهشة ، وقال :

ـ ما الذى تعنيه هذه البطاقة ؟ .. وما معنى رسم العقرب الذهبى فى منتصفها و ...

شعر فجأة أنه يتحدث إلى نفسه ، فرفع عينيه إلى حيث يقف (العقرب) ، وقال :

ـ إنك لا تجيبنى على ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذهول ؛ فقد كانت الردهة خالية تماما ، وباب الشقة ما زال مغلقا ، فهتف (هانى) ذا هلا :

ـ رباه !! اهو شبح ؟

انتبه إلى أن باب حجرته مفتوح ، فقفز من مقعده ، واندفع نحو الحجرة ، ولكنها كانت خالية بدورها ، إلا من مسدسه الموضوع فى منتصف فراشه ، والنافذة مفتوحة على مصراعيها ..

وعندما تطلع (هانى) عبر النافذة ، كان الظلام يسود فى الخارج تماما ، فغمغم فى حنق :

ـ يا للثعلب !

وتوقف لحظات يتطلع إلى بطاقة (العقرب) ، ثم قال فى حزم :

ـ ولكنه لن يصمد أمام القانون .

وبحركة حاسمه ، رفع سماعة الهاتف المجاور لفراشه ، وادار قرصه ثلاث مرات متوالية ، وقال :

ـ شرطة النجدة ؟ .. أنا (هانى عبد الله) .. السكرتير الخاص لمجموعة شركات (جيلان شوكت) .. أريد ان ابلغ عن جريمة .

وتنهد فى حرارة ، قبل أن يستطرد :

ـ جريمة من نوع غريب ..

* * *

أوقفت (غادة) سيارتها أسفل البناية ، التى تقيم فيها ، وغادرتها شاردة الذهن ، تسترجع فى ذاكرتها كل ما حدث ، منذ مصرع أمها ، وتتساءل فى أعماقها عن الوسيلة التى سيتبعها (نديم) هذه المرة ، ليواجه امرأة قوية فى المجتمع ، ويكشف أمرها للجميع ، وخيل إليها أن هذه العملية ستكون أكثر تعقيدا من عمليتيه السابقتين ..

ولم تدر لماذا جال هذا بخاطرها ، على الرغم من أن (العقرب) قد انتصر على عملاقين سابقا ؟ ؟..

ربما لأنها لم تكن تبغض الخصمين السابقين ، مثلما تبغض هذه المرأة !

أو ربما لأنها تنظر إلى هذه القضية بالذات ، من منظور شخصى بحت !

أو هى غريزة المرأة فى أعماقها ! ..

انتزعها من شرودها فجأة صوت خشن ، يقول :

ـ الآنسة (غادة) ؟

استدارت إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، ورأت أمامها ضابط من ضباط الشرطة برتبة (نقيب) ، وإلى جواره شرطى عادى ، فقالت فى عصبية :

ـ لقد افزعتنى ايها الضابط .. نعم .. انا هى (غادة) .. ماذا تريد منى ؟؟

وقبل ان تفهم ما يحدث ، ارتفعت يد الضابط إلى راسها بمسدس كبير ، وسمعته يقول فى سخرية ، مصوبا إليها كاتم الصوت ، فى نهاية المسدس :

ـ حياتك ايتها الجميلة .

وضغط الزناد ..

* * *

٤ ـ وبدأت المعركة ..

لا احد يمكنه ان يفسر كيف يحدث هذا ؟..

إن المرء يتعرض لخطر ما ، فيشحذ هذا الخطر حواسه واعصابه ، ويدفع كميات هائلة من (الأدرينالين) عبر عروقه ، وتنشط ذاكرته لفحص الخطر المواجه ، ومقارنته بالمخاطر التى تعرض لها الجسم مسبقا ، ثم تنطلق غريزة البقاء من عقالها ، وتشارك مع كل العوامل السالف ذكرها ، لدفع المرء إلى اتخاذ وسيلة الدفاع المناسبة .. وهذا ما حدث مع (غادة) ..

لقد رات ذلك الضابط يرفع مسدسه فى وجهها ، وسبابته تضغط الزناد ، فانحنت على نحو غريزى ، وسمعت ازيز الرصاصة فوق راسها ، وفى اذنيها ، فصرخت فى غضب :

ـ ايها الوغد ..

ومما لا شك فيه ان الرجل لم يكن يتوقع ابدا ما حدث فى اللحظات التالية ، فقد اندفعت قدم (غادة) إلى معدته ، وغاصت فيها كالقنبلة ، و (غادة) تهتف :

ـ إنك تستحق هذا .

ثم قفزت قدمها الاخرى إلى انفه ، وهشمته بركلة عنيفة ، جعلته يتاوه فى شدة ، وهو يسقط على وجهه ارضا ..

وانتزع الجندى المصاحب له بندقيته ، وهو يقول :

ـ محاولة جيدة ، ولكن ..

غاصت (غادة) بجسدها إلى أسفل ، وهوت بقبضتها على معدته ، وقالت :

ـ ولكن ماذا ؟

تراجع الرجل خطوة ، ثم ضربها بكعب بندقيته فى معدتها ، وهو يهتف :

ـ ولكنك امراة .

شعرت بآلام شديدة فى معدتها ، ولكنها قاومتها ، وهى تمسك ماســورة بندقيته ، وتقفز بقدميها ، لتركل صدره ، صائحة :

ـ النساء يجدن القفز .

وقبل ان يسقط ، كانت تركل انفه ايضا ، مستطردة :

ـ وتحطيم الانوف .

سقط الجندى ارضا ، وراح يصرخ فى الم ، وهو يمسك انفه المحطم ، الذى سال منه الدم غزيرا ، فى حين صوبت هى بندقية الجندى إلى الرجلين ، قائلة فى حزم :

ـ والآن .. من منكما سيبدا فى إبلاغى بما وراءكما ؟

ارتفع فجاة صوت يموج بالدهشة والاستنكار من خلفها ، هاتفا :

ـ ماذا تفعلين ؟

اقترن الصوت بصرير إطارات سيارة تتوقف ، مما جعلها تلتفت خلفها فى سرعة ، فوقع بصرها على سيارة من سيارات الشرطة ، وقد هبط منها ضابط برتبة نقيب ، وثلاثة جنود ، وكلهم يصوبون إليها اسلحتهم ، والضابط يستطرد :

ـ هل جننت ؟!.. القى سلاحك او نطلق النار .

قالت (غادة) فى حدة :

ـ لا تجعل المظاهر تخدعك ايها الضابط .. إنهما ليسا زميلين لكم ، فلقد حاولا قتلى منذ قليل .

نقل الضابط بصره بينها وبين الضابط والجندى ، اللذين نهضا من سقطتهما ، فقال الضابط المزيف :

ـ لا تصدقها ايها الزميل .. لقــد ضبطناها متلبسة ، ولكنها نجحت فى انتزاع سلاحنا ، وحاولت التخلص منا .

هتفت (غادة) فى غضب :

ـ هل تصدقهما ؛ لمجرد انهما يرتديان زيا رسميا ؟

اجابها الضابط فى حزم :

ـ لن ابدأ عملية التصديق او النفى ، إلا بعد ان اتسلم سلاحك يا سيدتى .

القت البندقية ارضا ، وهى تقول :

ـ فليكن .. إننى شرطية سابقة ، واعلم القواعد فى مثل هذه الظروف ، و ...

قاطعتها ابتسامة ساخرة ، ارتسمت على شفتى الضابط ، الذى يصوب إليها مسدسه ، فهتفت غاضبة :

ـ إذن فانت ايضا ..

قاطعها ساخرا :

ـ نعم .. كلنا من فريق واحد .

قفزت محاولة التقاط البندقية مرة اخرى ، ولكن الضابط

المزيف قفز نحوهـــا بدوره ، وهـــوى على راســـها بكعب مسدسه ..

واظلمت الدنيا فجأة أمام عينى (غادة) ..

وسقطت فاقدة الوعى ..

وفى ارتياح بالغ ، اطلق الضابط المزيف الأول زفرة حارة ، وهتف :

ـ لقد وصلتم فى اللحظة المناسبة .. لقـــد فاجأتنا تلك اللعينة بقدرتها الفائقة على القتـــال ، حتى أننـــا لم نصـــمد أمامها ، وكادت تهزمنا بالفعل ، لولا وصولكما .

ثم التقط مسدسه من الأرض ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكنها ستدفع الثمن .

سأله زميله :

ـ ماذا ستفعل ؟

صوب الرجل فوهة المسدس إلى راس (غادة) الفاقدة الوعى ، وهو يقول :

ـ هل تسألنى ؟.. سأنفذ الأوامر بالطبع .

واردف فى شراسة ، وهو يجذب إبرة المسدس :

ـ سأقتلها ..

* * *

تألقت عينا العقيد (مجدى) ، وهو يقلب بطاقة (العقرب) الأنيقة بين أصابعه ، ثم مط شفتيه ، وهو يقول لضابط شرطة النجدة فى انفعال :

ـ احسنت صنعا باستدعائى ايها النقيب .. إنها قضية تهمنى بالفعل .

اجابه نقيب الشرطة فى ارتياح :

ـ كنت انفـذ الاوامر يا سيدى ، وهى تقتضى ضرورة إبلاغك شخصيا بكل قضية نعثر فيها على مثل هذه البطاقة .

اومأ (مجدى) براسه ، قائلا :

ـ هذا صحيح .

ثم اتجه إلى حيث يقف (هانى) ، وفحصه بنظرة واحدة سريعة ، قبل ان يقول :

ـ إذن فقد زارك (العقرب) هذا المساء .

عقد (هانى) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ نعم .. لقد فعل ، وكانت هذه أول مرة اسمع فيهـا بوجود مجرم مقنع شهير مثله .

تجاهل (مجدى) الجزء الثانى من عبارة (هانى) ، وسأله فى لهفة واضحة :

ـ ماذا كان يريد بالضبط ؟

اشار (هانى) إلى نقيب الشرطة ، قائلا :

ـ لقد اخبرت ذلك النقيب بكل ما حدث ، و ...

قاطعه (مجدى) فى حدة :

ـ وستقص على الامر كله منذ البداية .. هل تفهم ؟

هتف (هانى) فى عصبية :

ـ لا .. لست افهم .. افهمنى انت من المخطىء هنـا ، انا ام ذلك المقنع ؟!

التقط (مجدى) انفاسه فى عمق ، فى محاولة للسيطرة على اعصابه ، وهو يقول :

ـ معذرة لتوتر اعصابى ، ولكن هذا المجرم يقلقنا منـذ زمن ، والمفروض ان يعاوننا كل مواطن شريف .

ثم لان صوته ، وهو يستطرد :

ـ والآن .. هلا قصصت على الامر كله ؟

وامام هـذا الأسـلوب المنمق ، راح (هانى) يقص كل ما حدث على مسامع (مجدى) ، الذى استمع إليه فى اهتمام ، ثم سأله :

ـ ولكن لمـاذا يسعى (العقرب) لجمع المعلومات عن (چيلان شوكت) ؟

اجابه (هانى) فى انفعال :

ـ لا ريب انه يزمع سرقتها .

مط (مجدى) شفتيه ، مضمغما :

ـ ليس هذا اسلوبه .

ثم اخرج من جيبه صورة ملونة لـ (نديم فوزى) ، وضعها امام عينى (هانى) ، وسأله :

ـ قل لى : هل يشبه هذا الرجل ؟

تطلع (هانى) إلى الصورة طويلا ، ثم هز راسه ، قائلا :

ـ لست ادرى .

فسأله (مجدى) فى حسم :

ـ ماذا تعنى بانك لست تدرى ؟.. إننى القى عليك سؤالا لا يحتمل سوى جواب من اثنين : نعم ، او لا .

هز (هانى) راسه مرة اخرى ، وهو يقول فى حدة :

ـــ ليس فى هذه الحالة .. لقد رايت رجلا مقنعا ، وهذا ليس كذلك ، ولا يمكننى الجزم بأنهما رجل واحد .

أعاد (مجدى) الصورة إلى جيبه فى حدة ، وهو يقول فى غيظ :

ـــ إنها نفس النقطة التى يفلت بها ذلك اللعين دوما .. نقطة ان الشك دائما فى صالح المتهم .

ثم ضم قبضته ، مستطردا فى غضب :

ـــ ولكنه لن يفلت من يدى هذه المرة .. ابدا .

والعجيب أن مشكلة (مجدى) لم تكن أبدا معرفة الشخص المسئول ..

او حتى العثور عليه ..

كانت المشكلة دائما هى إدانته ..

ولكن مشكلته هذه المرة ستكون ـــ بالفعل ـــ هى العثور على (نديم غوزى) ..

على قيد الحياة ..

* * *

عاد (نديم) مباشرة ، من منزل (هانى) إلى مكتبه ، حيث اخفى زى (العقرب) فى خزانته السرية ، وجلس خلف مكتبه ، يراجع ما لديه من معلومات ، ثم لم يلبث أن غمغم فى حيرة :

ـــ عجبا !!.. الأمور تبدو كلها محيرة بالفعل ، على الرغم من شعورى الداخلى ، الذى يؤكد لى ان (چيلان شوكت) هذه تخفى أمرا يخالف القانون .

تنهد فى عمق ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتابع فى خفوت ، متحدثا إلى نفسه :

ـــ (غادة) تؤكد ان (چيلان) هى نفسها (نوقية رضوان) ، إمبراطورة تزوير النقد السابقة ، ولكن اعمال (چيلان) كلها تبدو قانونية ، على الرغم من ردود افعالها المريبة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما تناهى إلى مسامعه صوت خافت ، جعله يهب واقفا ، ويعقد حاجبيه فى قلق ، ثم يتحرك فى خفة نحو باب المكتب ، ويفتحه فى حركة حادة ..

ولكن الردهة كانت خالية تماما ، مما جعله يتمتم فى حيرة :

ـــ خيل إلى لحظة ان ..

عندما بتر عبارته هذه المرة ، كان السبب يختلف ..

لقد لمح بطرف عينيه رجلا ضخم الجثة ، ينقض عليـــه من خلف ستار الممر الداخلى ، وهو يرفع خنجرا حادا ، تأهبا لإغماده فى قلبه ..

وبسرعة مدهشة ، ورد فعل رائع ، مال (نديم) جانبا ، ورای الخنجر يطعن الهواء ، ويهوى أمام عينيه ، فتحركت قبضته فى سرعة كالقنبلة ، وهوت على فك الرجل الضخم ..

وبقفزة إلى الخلف ، بدا المشـــهد كله واضحا امام عينى (نديم) ..

إنه لم يكن يواجه رجلا واحدا ..

بل ثلاثة رجال ..

لقد سقط أولهم أرضا ، إثر لكمة (نديم) ، وطار خنجره من يده ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الرجلان الآخران من خلف الستارة نفسها ، وكلاهما يحمل خنجرا ماضيا ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، انقض الرجلان على (نديم) .

وتلقى (نديم) ذراع الأول على ســـاعده ، ثم حطم أنفه بلكمة ساحقة ، وهـــو يضرب الثـــانى بقدمه ، ولكن الرجل الساقط أرضا التقط خنجره مرة أخرى ، وانقض على (نديم) ، وهوى عليه بخنجره الحاد ..

ومزق الخنجر كم سترة (نديم) ، وجرح ذراعه ، وأسال دمه ، ولكن (نديم) تراجع فى رشاقة ، وكال للرجل لكمـــة ساحقة فى أسنانه تماما ..

اعجب ما فى هذا الصراع ، هو أنه قد دار فى صمت تام ، كما لو كان مشهدا صامتا فى فيلم سينمائى قديم ..

إلا من صوت اللكمات والقبضات ..

وكان (نديم) باسلا ، قويا شجاعا ..

ولكن ..

قال الحكماء قديما : « الكثرة تهزم الشجاعة » ..

وهذا صحيح ..

لقد أحاط المجرمون الثلاثة بـ (نديم) ، وارتفعت خناجرهم من حوله ، و ...

وابتسم الموت ..

* * *

٥ ـ قواعد اللعبة ..

ثانية واحدة وتلقى (غادة) مصرعها ، وهى فاقدة الوعى ..

فوهة المسدس المزود بكاتم للصوت مصوبة إلى رأسها ؛ وسبابة الضابط المزيف تهم باعتصار الزناد ، وإطلاق رصاصة الموت ، و ...

وفجأة أمسك الضابط المزيف الآخر معصم زميله ، وأبعد فوهة المسدس جانبا ، وهو يقول :

ـ رويدك يا رجل .. ليس الآن .

هتف به الأول فى غضب :

ـ ماذا تفعل ؟.. الأوامر تقتضى قتلها ، والفرصة سانحة ، والشارع خال ، و ...

قاطعه زميله فى حزم :

ـ لقد تغيرت الأوامر ؛ ولهذا نحن هنا .

سأله فى حدة :

ـ ماذا تعنى بأن الأوامر قد تغيرت ؟

أجابه بنفس الحزم ، وهو ينتزع منه المسدس :

ـ أبدلت الإمبراطورة رأيها ، وقررت الحصول على الفتاة على قيد الحياة أولا .

هتف الأول محنقا :

ـ لمـاذا ؟

أجابه فى خشونة :

ـ ليس هذا من شأننا .

ثم التفت إلى الجنود المزيفين حوله ، واستطرد :

ـ هيا .. احملوها إلى السيارة ، قبل ان يثير وجودنا فضول البعض ، او تصل دورية شرطة حقيقية .. هيا .

اسرع الرجال يحملون (غادة) إلى سيارتهم ، وانطلقوا بها مبتعدين ..

نحو مصير مجهول ..

* * *

كانت الخناجر الحادة ترتفع عاليا ، والوحشية التى تنبض بها قلوب المجرمين تزار فى شراسة ، والموت يبتسم متلهفا لانتزاع روح جديدة ..

وفجاة تبدل كل شىء ..

اقتحم المكان ضابط شاب ، انتزع مسدسه فى صرامة ، وهو يهتف :

ـ كل فى مكانه ، ساطلق النار على اول من يتحرك منكم .

ولكن احد المجرمين الثلاثة دار على عقبيه فى سرعة ، والقى خنجره نحو القادم الجديد ..

واطلق الضابط رصاصة مسدسه ..

واسقط المجرم ..

وانغرز الخنجر فى إطار الباب ، على قيد سنتيمترات من راس الضابط ، فى نفس اللحظة التى تحرك فيها (نديم) هاتفا :

ـ شكرا .

حطمت قبضته فك اقرب الرجلين الباقيين إليه ، ثم استدار يواجه الثالث ، الذى دفع خنجره نحو رقبة (نديم) ، صارخا :

ـ لن تربح .

ولكن راس (نديم) تحرك جانبا ، وتفادى النصل القاتل ، ثم طارت قدمه لترتطم بمعدة الرجل ، ووثبت الأخرى تحطم اسنانه ..

وسقط المجرم الثالث ارضا ..

واندفع (نديم) نحو الضابط ، هاتفا :

ـ هل انت بخير ؟

اعتدل الضابط ، الذى لم يكن سوى العقيد (مجدى) ، وقال فى حدة ، وهو يهندم زيه الرسمى فى عصبية :

ـ المفروض ان القى انا هذا السؤال ، الا يكفى اننى قد لاحظت العراك الصامت ؟

ثم اشار إلى الرجال الفاقدى الوعى ، مستطردا :

ـ من هؤلاء بالله عليك ؟

اجابه (نديم) فى هدوء :

ـ دعنى أستعيد عبارتك السابقة ، فالمفروض ان القى انا هذا السؤال .

قال (مجدى) فى حدة :

ـ اسمع يا (نديم) .. إننى ابغض اسلوب الثعلب هذا ، الذى تتعامل به مع الجميع ، واؤكد لك انك لن تخدعنى ابدا ، ولن تقنعنى انك تجهل هوية ثلاثة رجال ، ارادوا قتلك فى عقر مكتبك .

قال (نديم) فى برود :

ـ عليك أن تجد الدليل على معرفتى لهم .

صاح (مجدى) فى غضب :

ـ أهذا ما تفعله دوما ؟.. أن تستغل ثغرات القانون ؟

هز (نديم) راسه نفيا ، وقال :

ـ على العكس ايها العقيد .. إننى ارتق تلك الثغرات .

رمقه (مجدى) بنظرة حادة ، وقال :

ـ فى شخصية (العقرب) .. اليس كذلك ؟

هز (نديم) كتفيه ، وقال فى برود :

ـ ربما .

التقت نظراتهما طويلا فى عناد وصرامة وحزم ، قبل ان يردف (نديم) :

ـ ولكنك انقذت حياتى على اية حال .

مط (مجدى) شفتيه ، وقال :

ـ للأسف .. ولكنك مصاب بجرح فى ذراعك ، يحتاج إلى ضمادة .

والقى جسده على اقرب مقعد إليه ، وهو يستطرد :

ـ قل لى : هل تعرف (چيلان شوكت) ؟

اجابه (نديم) فى بساطة :

ـ بالتاكيد .. إنها سيدة مجتمع شهيرة .

سأله :

ـ وماذا ايضا ؟

ـ وسيدة أعمال ايضا .

ـ رائع .. لماذا ـ فى تصورك ـ يسعى (العقرب) خلف سيدة مثلها ؟

ـ يمكنك ان تطرح هذا السؤال عليه مباشرة .

ـ إننى افعل .

ـ ولكننا وحدنا هنا .

عقد (مجدى) حاجبيه فى غضب وتوتر ، وقال :

ـ اسمع يا (نديم) .. كلانا يعرف شخصية (العقرب) الحقيقية ، وذلك الهوس الذى يملأ عقله ، بشأن الفارق بين العدالة والقانون ، وكلانا يعلم ايضا انه ـ على الرغم من مخالفته للقانون ـ لا يطارد إلا أولئك الذين يعبثون بالقانون.. اهذا صحيح ؟

أوما (نديم) براسه موافقا ، دون أن يلفظ حرفا واحدا ، فتابع (مجدى) ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابا .

ـ نبشه حياة (چيلان شوكت) إذن ، واقتحامه لمنزل سكرتيرها الخاص عنوة ، بحثا عن المزيد من المعلومات عنها ، يعنيان أن (چيلان) ـ فى رايه ـ تخالف القانون ، فما نوع هذه المخالفة ؟

ران عليهما الصمت طويلا ، ثم قال (نديم) فى بطء :

ـ لم لا تنبش ماضيها بدورك ، بحثا عن الجواب ؟

بدا الحنق على وجه (مجدى) ، وخيل لـ (نديم) لحظة انه سينفجر ساخطا ، إلا انه لم يلبث أن غمغم :

ـ سافعل .

ثم نهض من مقعده فى حدة ، واشار إلى المجرمين الثلاثة ، الفاقدى الوعى ، مردفا :

ـ بعد ان اتخلص من اكوام القمامة هذه .

وكان من الواضح ان الصراع ما زال يواصل انحرافه الحاد ..

نحو نقطة مجهولة ..

***

استعادت (غادة) وعيها مع صداع شديد ، جعلها تتاوه فى الم ، هاتفة فى صوت واهن ضعيف :

ـ اين انا ؟

ارادت ان ترفع يدها إلى راسها ، ولكن شيئا ما كان يكبل معصمها ، مما جعلها تفتح عينيها فى حيرة ، قبل ان تهتف ، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما بغتة :

ـ انت ؟!

كانت تجلس امامها فى هدوء ، (چيلان شوكت) ، تنفث دخان سيجارتها فى بطء ، وتتطلع إليها بعينين زرقاوين ، وابتسامة ساخرة شامتة ..

وبكل البغض الكامن فى اعماقها ، صرخت (غادة) :

ـ ايتها القاتلة الحقيرة .

جاوبتها ضحكة ساخرة ، انطلقت من بين شفتى (چيلان) ، قبل ان تميل نحوها ، وتقول ساخرة :

ـ الديك دليل ؟

قالت (غادة) فى غضب :

ـ بالتاكيد .

تراجعت (چيلان) فى هدوء ، وهى تقول :

ـ انت كاذبة .

قالت (غادة) فى حدة :

ـ اتراهنين ؟

اجابتها فى برود :

ـ نعم .. اراهن بحياتك مقابل ما لديك من وثائق .. ما رايك ؟

ترددت (غادة) لحظة ، فقد كانت العبارة ـ على الرغم من صرامتها ـ تحمل معنى خفيا بأن (چيلان) تحمل بعض الشك فى صحة وجود مثل هذه الوثائق ..

وكان من الضرورى أن تلعب (غادة) بهذه الورقة ، حتى آخر رمق ..

هذه هى قواعد اللعبة ..

وفى حزم ، قالت (غادة) :

ـ اقتليني لو اردت ، ولكننى لن امنحك سلاح هدمك ابـدا .

قالت (چيلان) فى هدوء :

ـ هكذا ؟!..

ثم امالت راسها نحو (غادة) ، لتلتقى عيونهما ، وهى تردف :

ـ اهذا راى زميلك ايضا ؟

لم تجب (غادة) على الفور ..

كانت تتطلع إلى عينى (چيلان) فى اهتمام بالغ ، وحيرة شديدة ، ثم لم تلبث ان تطلعت إلى وجهها كله ، وهى تغمغم فى شرود :

ـ لست ادرى .

ثم انتفضت فجاة ، وكانها تفيق من حلم عميق ، واضافت فى حزم :

ـ إنه سيتفق معى فى الراى حتما .

اطلقت (چيلان) ضحكة ساخرة اخرى ، وهى تتراجع فى مقعدها مبتعدة ، وقالت فى تهكم لاذع :

ـ هذا لو انه ما زال ينتمى إلى عالمنا .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور لها ، فالتقطت سماعته فى سرعة ، ووضعتها على اذنها ، قائلة :

ـ من المتحدث ؟

راتها (غادة) تعقـد حاجبيها فى شدة ، وتبـدو ـ عبر ملامحها ـ كما لو ان ما تسمعه لم يرق لهـا ابدا ، قبل ان تقول فى حزم :

ـ لا بأس .. عد على الفور .. لدى خطة بديلة .

واعادت سماعة الهاتف إلى موضعها ، وهى تلتفت إلى (غادة) ، قائلة :

ـ يبدو ان رفيقك هذا ليس بالرجل السهل .

ابتسمت (غادة) فى ثقة ، وهى تقول :

ـ اكثر مما يمكنك تصوره ..

تطلعت إليها (چيلان) لحظة فى صمت ، ثم قالت فى هدوء ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عمق :

ـ لم يحن الوقت بعد للجزم بهذا .

وعادت تميل نحو (غادة) ؛ متابعة فى حزم :

ـ لكل مخلوق فى هذه الدنيا نقطة ضعف .

ثم اعتدلت بغتة ، مستطردة :

ـ فيما عداى .

غمغمت (غادة) فى مقت :

ـ يا للغرور !

ابتسمت (چيلان) فى سخرية ، وقالت :

ـ بل قولى : يا للعبقرية !!

وفى هذه المرة كانت ابتسامتها تحمل شيئا اكثر من مجرد السخرية ..

كانت تحمل صورة قاتمة مخيفة ..

صورة الموت ..

* * *

٦ ـ المساومة ..

وصل (نديم) إلى مكتبه ، فى تمام الثامنة صباحا كالمعتاد ، وسأل عم (أحمد) ، وهو يدلف إلى مكتبه :

ـ صباح الخير يا عم (أحمد) .. الم تصل الآنسة (غادة) بعد ؟

أجابه (أحمد) ، وهو يبتسم فى حنان :

ـ إنها تصل بعدك بنصف الساعة تقريبا .

ثم أشار إلى أرضية ردهة المكتب ، مستطردا فى حيرة :

ـ ولكن اخبرنى يا سيدى .. الديك فكرة عن سر تلك البقع الحمراء على الأرضية ؟.. إنها تبدو لى اشبه ببقع دموية متجمدة .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ إنها كذلك بالفعل .

ارتسم مزيج من الذعر والدهشة على وجه (احمد) ، فى حين تابع (نديم) بنفس الهدوء :

ـ لقد اصيب احد عملاء المكتب بنزيف انفى غزير .

هتف (أحمد) :

ـ متى ؟.. لقد غادرت المكتب بعد التاسعة ، و ...

قاطعه (نديم) :

ـ لقد حدث هذا فى منتصف الليل تقريبا .

عاد (احمد) يحدق فى بقعة الدم ، مغمغما :

ـ عجبـا !!

تركه (نديم) فى حيرته ، ودلف إلى حجرة مكتبه الخاصة ، واغلقها خلفه ، ثم جلس خلف مكتبـه ، يتحسس الضمادة الصغيرة على ذراعه ..

كان جرحه سطحيا بسيطا ، وكان من الممكن ان يصبح غائرا شديدا ، لولا الزجاج نصف الشفاف ، الذى يكون ثلث باب الشقة تقريبا ، والذى سمح لـ (مجدى) برؤية ما يحدث فى ردهتها ، والتدخل فى الوقت المناسب ..

إنها عناية الله (سبحانه وتعالى) ولا شك ..

تنهد فى عمق ، وهو يستعيد الذكرى ، قبل ان ينطلق رنين الهاتف بغتة ، فمد يده فى هدوء يلتقط سماعته ، وقال :

ـ هنا مكتب (نديم فوزى) المحامى .. من المتحدث ؟

اتاه صوت انثوى مألوف ، يقول :

ـ من الطريف ان اجدك خلف مكتبك ، فى هذه الساعة .. هذا يؤكد انك تميل حقا إلى النشاط .

تعرف صوت (چيلان شوكت) على الفور ، فاجاب فى هدوء :

ـ هذا ينطبق عليك ايضا يا سيدة (چيلان) .

جاوبته ضحكة عابثة طويلة ، على الطرف الآخر للهاتف ، قبل ان تقول (چيلان) :

ـ رائع .. المعيتك هذه تجعل اللعبة اكثر إمتاعا .

قال دون مبالاة :

ـ اية لعبة !

وبدلا من ان تجيبه ، سألته :

ـ قل لى : هل وصلت زميلتك العزيزة إلى المكتب ؟

استشعر قلقا خفيا فى اعماقه ، لم يمنعه من ان يقول فى هدوء :

ـ ليس بعد .

اجابت فى اسف ساخر مفتعل :

ـ يا للخسارة !.. اردت تعزيتها فى مصرع امها الصحفية اللامعة ، منذ عشر سنوات تقريبا .

توترت عضلاته كلها ، وهو يستمع فى انتبـاه ، دون ان ينبس بحرف واحد ، فى حين تابعت هى :

ـ ولقد سرت شائعة بأنها تملك بعض الوثائق ، التى تدين القاتلة ، ولكننى تأكدت منها بأنهـا لا تحمل شيئا من تلك الوثائق .

ضغطت حروف كلمة (منها) ، وكانها تتعمد إرسال رسالة خاصة إلى (نديم) ، الذى استقبل المعنى بالتأكيد ، وكادت قبضته تعتصر سماعة الهاتف ، على الرغم من ان صوته لم يفقد نبرته الهادئة ، وهو يسألها :

ـ واين (غادة) الآن ؟

بدا له صوتها جذلا ، ساخرا ، وهى تقول :

ـ حاول ان تخمن .

سيطر على اعصابه فى شدة ، وهو يقول لها :

ـ لقد اسعدنى حديثك كثيرا يا سيدة (چيلان) ، وارجو منك إبلاغ (غادة) اننى انتظر حضورها إلى المكتب فى سرعة ، وإلا ..

قاطعته (چيلان) فى حزم :

ـ لست اظنها ستحضر إلى مكتبك اليوم .. او حتى فى الايام القادمة ، وإلى الابد ، إلا إذا حملت انت تلك الوثائق ، التى اشك فى وجود مثلها ، واتيت لتسليمها إلى (اكرم) ، محامى الخاص .

ران عليهما الصمت لحظات طوالا ، شعر خلالها (نديم) بمقت شديد تجـاه (چيلان شوكت) واسـلوبها الشبيه بالأفعى ، ثم لم يلبث ان قال فى اقتضاب :

ـ متى واين ؟

اجابته فى اقتضاب مماثل :

ـ الثانية عشرة من مساء الليلة ، فى مكتب (اكرم) .. ساكون هناك .

وقبل ان يلقى سؤالا إضافيا واحـدا ، كانت قد انهت الاتصال دفعة واحدة ..

وبقى (نديم) لحظات ممسـكا سماعة الهـاتف ، وذلك الصوت الهاتفى الرتيب ينتقل منها إلى اذنه ، معلنا إنهـاء المحادثة ، قبل ان يعيد هو السماعة إلى موضعها فى بطء ، ويعقد حاجبيه فى شدة .

لقد كشفت (چيلان) امر (غادة) ، وخطفتها بوسيلة ما ، لتساوم من اجل الحصول على الوثائق ، التى لا وجود لهـا بالفعل ..

ولكن (چيلان) تشك فى وجود مثل هذه الوثائق حتما ..

وهذه هى الورقة الباقية فى اللعبة ..

الورقة الاخيرة ..

لا .. ما زالت هناك ورقة اخرى ..

قفزت العبارة الأخيرة إلى ذهنه فجاة ، فمد يده يضغط زرا خفيـا فى مكتبـه ، انفرجت على اثره فرجة صغيرة فى المكتب ، التقط منها بطاقة بيضاء انيقة ، تحمل رسما لعقرب ذهبى ، واضاف عقله ..

هناك تلك الورقة ..

ورقة (العقرب) ..

* * *

جلس اللواء (حلمى) منهمكا فى قراءة ملف ضخم ، فى ملفات تحريات إدارة المباحث الجنائية ، التى يراسها ، عندما سمع دقات عنيفة على باب حجرته ، فزفر فى ضجر ، وقال :

ـ ادخل يا (مجدى) .

دفع العقيد (مجدى) الباب ، ودخل إلى حجرة اللواء (حلمى) ، وهو يقول :

ـ يدهشنى دائما تعرفك إياى يا سيدى ، عندما اطرق بابك .

ابتسم (حلمى) ، وقال :

ـ يمكنك ان تقول : إن لك اسلوبا متميزا يا (مجدى) .

ثم اشار إلى المقعد المقابل لمكتبه ، مستطردا :

ـ اجلس ، واخبرنى ماذا تريد ؟

جلس (مجدى) ، وهو يحك مؤخرة راسه ، كعادته كلما وجد صعوبة فى بدء حديث ما ، فاضاف (حلمى) :

ـ هات ما لديك ، فكلى آذان صاغية .

التقط (مجدى) نفسا عميقا ، وقال :

ـ لقد ظهر (العقرب) مرة اخرى .

شحذت العبارة حواس (حلمى) كلها ، فترك الملف من يده ، ومال بجسده كله تقريبا نحو (مجدى) ، وهو يردد فى انفعال :

ـ ظهر ؟

اومأ (مجدى) براسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم .. لقد بدأ يلعب لعبته التقليدية ، حول واحدة من سيدات الأعمال والمجتمع هذه المرة .

سأله (حلمى) فى اهتمام :

ـ من هى ؟

اجابه (مجدى) على الفور :

ـ (چيلان) .. (چيلان شوكت) .

مضت لحظات من الصمت بعد الجواب ، إلى ان قال (حلمى) فى خفوت :

ـ وما رايك انت ؟

تنهد (مجدى) فى عمق ، وبدا مترددا لحظات ، ثم قال :

ـ انت تعلم رايى بشان (العقرب) واسلوبه يا سيدى ، فـ (نديم) يخالف القانون بهذا ، و ...

قاطعه (حلمى) فى حزم :

ـ ليس لدينا دليل على أن نديم) هو (العقرب) .

زفر (مجدى) مرة اخرى ، وقال :

ـ فليكن .. إننى ارى أن (العقرب) هذا ، ايا كانت هويته ، يخالف القانون بسعيه وراء الجريمة والمجرمين ، دون صفة رسمية او قانونية ، ولكن ..

توقف لحظات ، تضاعف خلالها تردده ، مما جعل اللواء (حلمى) يغمغم ، محاولا تشجيعه على المضى فى حديثه :

ـ ولكن ماذا ؟

تردد (مجدى) لحظة اخرى ، ثم اندفع يقول :

ـ ولكن (العقرب) لا يهاجم عادة إلا المجرمين .

تراجع (حلمى) فى مقعده ، وسأله :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالنسبة لك ؟

هز (مجدى) راسه ، قائلا :

ـ يعنى ان (چيلان شوكت) تخفى امرا ما يخالف القانون .. هذا هو اول ما دار بخلدى ، فور معرفتى بسعى (العقرب) خلفها ، مما دفعنى إلى جمع اكبر قدر من المعلومات عنها .. ولم يكن ذلك عسيرا ، فلقد وجدت لها ملفا بإدارة الجوازات ، حيث إنها كانت زوجة لميونير تركى ، وتملك مصنعا لأدوات التجميل فى (اسطنبول) ، وتحمل

الجنسيتين : التركية والمصرية ، وتستورد ادوات التجميل التى ينتجها مصنعها ، وهـذا يضيف إليها ملفـا فى إدارة الاستيراد ، و ...

قاطعه (حلمى) فى فضول :

ـ المهم ما الذى توصلت إليه ؟

لوح (حلمى) بذراعيه ، هاتفا :

ـ لا شىء .

رفع (حلمى) حاجبيه فى دهشة ، قائلا :

ـ لا شىء ؟!.. مطلقا ؟

لوح (حلمى) بذراعيه مرة اخرى ، مجيبا فى حنق :

ـ مطلقا .. كل اوراقها رسمية ، قانونية ، سليمة .. واعمالها تسير على خير ما يرام ، وبشكل قانونى سـليم ، فلا توجد حتى مخالفة جمركية او ضريبية واحدة .. إنهـا باختصار نظيفة تماما .

بدا هذا الأمر محيرا بالنسبة للواء (حلمى) ، الذى اعتاد ان يكون خصوم (العقرب) دائما من عتاة الجريمة ، الذين يغفل عنهم القانون ، او يعجز عن الإيقاع بهم ، ولم يستطع إقناع نفسه بان (نديم) قد اخطأ اختيار خصمه هذه المرة ، وهو صاحب الشخصية الرصينة المتانية ، و ...

قفزت إلى ذهنه فجاة فكرة ، جعلته يسأل (مجـدى) بغتـة :

ـ الـم تراودك فكرة الا تكون (چيـلان) ذاتهـا هى المقصودة ؟

عقد (مجدى) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟

اجابه فى حماس :

ـ اعنى انه من المحتمل ان (العقرب) يسعى خلف احد رجال (چيلان) ، وليس خلف (چيلان) نفسها .

هز (مجدى) راسه نفيا ، واجاب :

ـ لقد درست هذا الاحتمال يا سيدى ، ولكن الأسلوب الذى اتبعه (العقرب) ، والاسئلة التى القاها كلها ، تؤكد انه يسعى خلف (چيلان) دون سواها .

عاد (حلمى) إلى حيرته ، وهو يغمغم :

ـ لا ريب ان لديه مبررات نجهلها إذن .

وصمت لحظات مفكرا ، ثم رفع عينيه إلى (مجدى) ، وقال فى حزم :

ـ لا باس يا (مجدى) .. اترك لى هذا الامر حتى الغد ، وستجد لدى جوابا بإذن الله .

وخفت صوته حتى لم يعد يسمعه سواه ، وهو يستطرد :

ـ من (العقرب) نفسـه .

* * *

صاحت (چيلان) ، فى وجه سكرتيرها الخاص (هانى) فى غضب :

ـ ابلغت الشرطة ؟!.. من سمح لك ان تفعل ؟

اجابها (هانى) فى دهشة :

ـ لم يكن هذا يحتاج إلى استئذان اى شخص يا سيدة

جيلان) .. لقد اقتحم ذلك المقنع منزلى عنوة ، واجبرنى على الإدلاء ببعض المعلومات ، وكان من الطبيعى بعد انصرافه ان ابلغ الشرطة ، كما ينبغى ان يفعل اى مواطن شريف .

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ إننى ابغض تدخل الشرطة فى شئون شركاتى ، هـذا بعرض سمعتنا للقيل والقال ..

قال (هانى) فى ضيق :

ـ ولكنه امر شخصى تماما يا سيدتى .

هتفت فى حنق :

ـ فليكن .. كان ينبغى ان تستشيرنى اولا .

ولوحت بذراعها فى حدة ، مستطردة :

ـ ثم ما معنى القناع والزى الأسود ؟!.. أفى (شيكاغو) نحن ، ام فى فيلم سينمائى هزلى ؟

عقد محاميها (اكرم) ، الذى بقى صامتا طيلة الوقت ، حاجبيه ، وحك ذقنه فى قلق ، وهو يتمتم :

ـ إنه اسلوب غريب بالنسبة لمجتمعنا بالتاكيد .

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، قائلة :

ـ ومقلق :

ثم التفتت إلى (هانى) ، مستطردة فى حزم :

ـ حسنا .. لقد حدث ما حدث .. عد إلى مكتبك ، وأبلغنى بكل تطورات الأمر اولا فاولا .

غادر (هانى) مكتبها ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فى حين اتجهت هى إلى (اكرم) ، وقالت فى توتر :

ـ ما معنى هذا الأسلوب العجيب ؟.. ولمـاذا يتفق ظهور ذلك المقنع ، ومحاولته الحصول على معلومات عنى ، مع ظهور ابنة تلك الصحفية اللعينة ؟

رفع بصره إليها ، وهو يقول :

ـ إنها ليست اول مرة يظهر فيها هذا المقنع .

ضاقت عيناها ، وهى تتطلع إليه قائلة فى حدة :

ـ ماذا تعنى ؟.. هل ظهر رجل مقنع فى المجتمع المصرى من قبل ؟

اجابها وهو يلتقط سماعة الهاتف :

ـ ليس على نحو علنى ، ولكن الأوساط السفلية تردد شائعة عن هذا المقنع ، الذى يتشح بالسواد ، ويطلق على نفسه اسم (العقرب) ، والذى تسبب فى الإيقاع بـ (نعمان والى) منذ ما يقرب من عام .

وضغط ازرار الهاتف ، مستطردا :

ـ وقبل أن يحين موعدنا مع ذلك المحامى المغرور (نديم

فوزى) ، ساكون قد جمعت لك اكبر قدر من المعلومات عن هذا الـ ... (العقرب) .

قالت فى حدة :

ـ هذا افضل ، فانا ارغب فى ان انهى كل شىء قبل ان ينتصف الليل ، بحيث تشرق شمس الغد ، وانا احمل اللقب بلا منازع .

ورفعت راسها فى شموخ ، مستطردة :

ـ لقب (الإمبراطورة) .

* * *

٧ ـ الفـــخ ..

دق (أحمد) باب حجرة مكتب (نديم) فى رفق ، وسمع صوت (نديم) من الداخل يقول :

ـ ادخل يا عم (أحمد) .

دفع العجوز باب المكتب فى هدوء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية مشفقة ، وهو يقول :

ـ إنها العاشرة مساء الآن يا ولدى .. الم يحن الوقت بعد لتعود إلى منزلك ؟

هز (نديم) راسه نفيا فى هدوء ، وقال :

ـ انصرف انت يا عم (أحمد) .. سانهى بعض اعمالى وارحل .

ساله فى حنان :

ـ اتحب ان ابقى لخدمتك ؟

اجابه فى حزم :

ـ لا .. سابقى وحدى .. انصرف انت .

برز وجه آخر حنون ، من فوق كتف (أحمد) ، يقول :

ـ وحدك تماما .

التفت (أحمد) فى دهشة إلى صاحب الصوت ، فى حين نهض (نديم) من خلف مكتبه ، قائلا فى ترحاب :

ـ مرحبا يا سيادة اللواء (حلمى) .. كم يسعدنى دائما ان اراك !!

ارتسمت على شفتى (احمد) ابتسامة كبيرة مرحبة ، وهو يقول بدوره :

ـ مساء الخير يا سيادة اللواء ، تفضل .. هل أعد لك قدح القهوة كالمعتاد ؟

صافح (حلمى) (نديم) فى حرارة ، وهو يقول لـ (أحمد) :

ـ لا يا عم (احمد) .. انصرف انت وعد إلى منزلك ، ساتحدث مع (نديم) قليلا ، ثم نرحل معا .

اطاعه (احمد) ، وحمل اشياءه القليلة ، وانصرف عائدا إلى منزله ، فى حين قاد (نديم) رئيسه السابق إلى داخل حجرة مكتبه ، وجلسا على مقعدين متقابلين ، و (حلمى) يغمغم :

ـ اتعشم الا اكون قد أتيت فى وقت غير مناسب .

قال (نديم) :

ـ على الرحب والسعة دائما يا سيدى .

خيم عليهما الصمت لحظات ، وكان كلا منهما ينتظر أن يبدأ الآخر الحديث ، ثم قال اللواء (حلمى) :

ـ انت تعلم بالطبع ان (العقرب) قد ظهر مرة ثانية .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ تقصد ثالثة يا سيدى .. فهناك قضيتى (نعمان والى) و (صالح عثمان) .

ابتسم اللواء (حلمى) ، وقال :

ـ نعم .. اقصد انه قد ظهر للمرة الثالثة .. وهو يسعى

هذه المرة خلف (چيلان شوكت) ، سيدة المجتمع والأعمال الشهيرة .

اومأ (نديم) براسه إيجابا ، فتابع (حلمى) :

ـ العجيب أن (چيلان) هذه تبدو نظيفة تماما ، من كل النواحى القانونية الرسمية ، وحتى غير الرسمية ، على عكس من يتخذهم (العقرب) خصوما له عادة .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ هذا لو انها حقا (چيلان شوكت) .

انعقد حاجبا اللواء (حلمى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ اتعنى انها ليست كذلك ؟

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

ـ ربما لم تكن كذلك منذ عشر سنوات فقط .. بل ربما لم يكن هناك وجود قط لمن تدعى (چيلان شوكت) ، قبل هذا التاريخ .

هتف (حلمى) :

ـ إنه اتهام بالغ الخطورة يا (نديم) .

بدا (نديم) جامدا ، وهو يقول :

ـ إننى لم اتهم احدا يا سيدى .

التقت نظراتهما لحظات ، بدت خلالهـا ملامح (نديم) كقناع من الصلب ، لا يعكس اية انفعالات ، مما جعل اللواء (حلمى) يميل نحوه ، قائلا :

ـ قـل لى يا (نديم) : ما شـكوك (العقرب) تجـاه (چيلان شوكت) ؟

قال (نديم) فى هدوء شديد :

ـ لقد اخبرتك كل ما لدى بالفعل يا سيدى .

تراجع اللواء (حلمى) فى مقعده ، وقد ادرك انه لن يحصل من (نديم) قط على حرف زائد ، فتنهد قائلا :

ـ لا باس .. يمكننا ان نجرى تحرياتنا .

ثم ساله بغتة :

ـ ولكن اين (غادة) ؟

خيـل إليه ان (نديم) كان يتوقع هـذا السؤال ، او ينتظره ؛ فقد اجاب على الفور :

ـ فى مهمة خاصة بالمكتب .

ردد (حلمى) :

ـ مهمة خاصة ؟!

وهز راسه متفهما ، ثم نهض مستطردا :

ـ ساتركك انا إذن ، فربما احتاجت لك فى مهمتها .

نهض (نديم) يصافحه ، وهو يغمغم :

ـ إنها تحتاج إلى بالفعل يا سيدى .

وعندما انصرف اللواء (حلمى) ، اضـاف (نديم) فى خفوت :

ـ تحتاج إلى كثيرا .

وادار عينيه إلى الخزانة السرية ..

إلى حيث الزى ..

زى (العقرب) ..

* * *

لم تكد (چيلان شوكت) تدلف إلى حجرة مكتب (اكرم منصور) ، فى تمام الحادية عشرة مساء ، حتى هب هـذا الاخير من خلف مكتبه ، وهتف :

ـ مرحبـا يا عزيزتى (چيلان) .. إننى احمـل لك مفاجاة .

جلست على المقعد المواجه لمكتبه ، واشعلت سيجارتها . ونفثت دخانها فى قوة ، وهى تقول :

ـ بشأن ماذا ؟

مال على اذنها ، هامسا :

ـ بشأن (العقرب) .

عقدت حاجبيها ، وقالت فى توتر ملحوظ :

ـ ماذا لديك عنه ؟

عاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يبتسم فى زهو ، قائلا :

ـ لقد التقطت طرف الخيط ، من قضية (نعمان والى) ، وطلبت مقابلة رجله الأول (سيد) فى السجن ، فقد اصيب (نعمـان والى) نفسـه بالجنون ، بعد هزيمتـه على يد (العقرب) .. ولقد استصدرت تصريحا خاصـا بزيارة (سيد) ، والتقيت به بالفعل بعد الظهر ، ولقد اخبرنى بكل

ما يعرفه عن (العقرب) ، الذى حطم انف زعيمه ، والقاه فى السجن ، على الرغم من اتصالاته وسطوته ، و . . .

قاطعته فى عصبية :

ـ انت تعلم اننى اكره المقدمات الطويلة يا (اكرم) .

صمت لحظة ، دون ان يفقد ابتسامته المزهوة ، ثم قال :

ـ لا بأس . . لن نحتاج إليها .

ومال نحوها ، وهو يقول فى صوت ، حرص على ان يشحنه بأكبر قدر ممكن من الإثارة :

ـ لقد توصلت إلى معرفة الشخصية الحقيقية لـ (العقرب) .

وعاد يجلس فى وضعه الاول ، مستطردا فى حزم :

ـ إنه نفس المحامى الشاب . . إنه (نديم فوزى) .

انتفض جسدها فى قوة ، وهتفت :

ـ اانت واثق ؟

قال فى حزم :

ـ تمام الثقة .

نهضت من مقعدها على نحو غريزى ، واطفأت سيجارتها فى حدة ، وهى تقول :

ـ ذلك الوغد !!

ولوحت بذراعها مستطردة :

ـ إذن فذلك المحامى الشاب متيم بقصص البطولات السينمائية والرسوم المتحركة ، ويتصور نفسه النسخة

المصرية من (زورو) و (الرجل الوطواط) . . يا للسخافة ! . . أيظن ان قناعه هذا سيكفل له النصر .

ابتسم (اكرم) ساخرا ، وهو يقول :

ـ دعيه يتصور هذا .

هتفت فى سخط :

ـ ساسحقه سحقا .

اجابها فى هدوء :

ـ لم نختلف . . سنعمل على ان نسحقه سحقا ، حتى يصبح عبرة لكل من يفكر فى دس انفه فى شئوننا .

قالت فى حدة :

ـ ولكن بعد ان ننتزع منه الوثائق .

اطلق (اكرم) ضحكة ساخرة طويلة ، جعلتها تلتفت إليه فى حنق ، هاتفة :

ـ لماذا تضحك ؟

اجابها ضاحكا :

ـ ماذا اصابك ايتها الإمبراطورة ؟ . . اصدقت حقا انه وزميلته يملكان مثل هذه الوثائق ؟ . .

قالت فى حدة :

ـ من ادراك انهما لا يملكانها ؟

قال فى ثقة :

ـ لان الفتاة التى تلقى امها مصرعها قتلا أمام عينيها ، لن تتردد لحظة واحدة فى تسليم عنق قاتلة امها إلى السلطات ، لو انها تملك ولو قرينة واحدة لإدانتها . . اليس كذلك ؟

بدت الدهشة على وجه (چيلان) ، وكانما لم تفكر فى هذا الاحتمال قط ، ثم لم تلبث ان غمغمت :

ـ انت على حق .

ثم ضمت قبضتها فى حنق ، هاتفة :

ـ وانا التى ابقيت على حياة تلك المحامية اللعينة .

وانقضت على الهاتف ، مستطردة فى شراسة :

ـ سآمر الرجال بقتلها .

قبض (اكرم) على معصمها ، قبـل ان تلتقط سـماعة الهاتف ، وقال :

ـ ليس الآن .

صاحت به فى حدة :

ـ ولمـاذا الانتظار ؟

اجابها فى حزم :

ـ لاننا لم نختبر بعد قوة رفيقها ، الذى يطلق على نفسـه اسم (العقرب) ، ومهما كان رايك عمـا يفعله ، فقد نجح بالفعل فى تحطيم واحد من عمالقة عالم الجريمة ، وتحقيق هذا ليس بالأمر الهين او السهل ، وإن كان يعنى شيئا فإنما يعنى انه ليس من المفضل ان نستهين بخصمنا هذه المرة .

ابعدت يدها عن سماعة الهاتف ، قائلة فى توتر :

ـ اريد ان افهم اكثر .

اجابها فى اهتمام :

ـ ما ينبغى ان نفعله اولا هو ان نتخلص من (العقرب) ،

وبعدها سيسهل تخلصنا من الفتاة ، وإلا فإننا سنستخدمها كورقة للمساومة ، لو عجزنا عن التخلص منه .

قالت فى حزم :

ـ لن نعجز .

واشعلت سيجارة اخرى ، قبل ان تتابع :

ـ سيصل ذلك المحامى الشاب فى تمام منتصف الليل ؛ ليتفاوض معنا بشان رفيقته . .

وابتسمت ابتسامة شرسة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، مستطردة :

ـ واراهنك انه لن يشهد فجر الغد . . لن يشهده ابداً .

* * *

٨ ــ ليلة (العقرب) ..

درس (نديم) الموقف كله ، وهو يقف على سطح البناية المجاورة لتلك ، التى تضم مكتب (اكرم) ..

كانت المنطقة كلها هادئة ساكنة ، فى ذلك الوقت المتاخر من الليل ، وقد غاب القمر خلف بعض السحب المنخفضة . فساد ظلام كثيف ، اضاف إلى الصورة الكثير من الرهبة والغموض ..

وكان من الواضح ان (چيلان) قد وضعت بعض رجالها ، لحراسة مدخل البناية الاخرى ، حيث مكتب (أكرم) ، فلقد لمح (نديم) رجلين ، يوحى مظهرهما بالشراسة ، يحومان حول المدخل ..

وتطلع (نديم) إلى ساعته ، التى اشارت عقاربها إلى الثانية عشرة إلا الثلث ، قبيل منتصف الليل ، وغمغم :

ــ حان الوقت ليبدأ (العقرب) عمله .

وفى هدوء انتزع سترته البيضاء ، وارتدى سترة جلدية سوداء ، فوق قميصه وسرواله الاسودين ، ثم راح يرتدى قفازيه المطاطيين فى سرعة ، ويخفى وجهه بقناع (العقرب) الأسود ..

كان قد قرر ان يخوض المعركة بصفته (العقرب) ، محارب الجريمة ، وحامى العدالة ، لا بصفته (نديم فوزى) ، المحامى ورجل القانون ..

لم يكن قد تنازل بعد عن رايه فى الفارق الكبير بين القانون والعدالة ، فالقانون ــ فى رايه ــ بطىء ، تعترضه الروتينات والتعقيدات والإجراءات ، فى حين تنطلق العدالة حرة حاسمة ..

هذا هو منطق (العقرب) ..

لو انه يعمل بصفته (نديم فوزى) ، لكان من المحتم ان يبحث عن أدلة قانونية ، ودلائل قوية ، تكفى لإقناع هيئة المحكمة بإدانة (چيلان شوكت) ..

اما بصفته (العقرب) فهو يحتاج فقط إلى المعرفة ..

ثم يضرب ضربته ..

وفى خفة ، ترك (نديم) حقيبته الصغيرة ، التى تحوى زى المحامى الشاب الأنيق ، وتحرك نحو الحائط الذى يفصل البنايتين ، فى زى (العقرب) الأسود ، والقى حبلا متينا إلى سطح بناية مكتب (اكرم) ، وراح ينزلق فوقه إلى هناك ..

واستقرت قدماه على سطح بناية مكتب (اكرم) ، فتلفت حوله فى حذر ، ثم تحرك فى خفة القط نحو مدخل السطح ..

كان واثقا من انه قد اتخذ الطريق الوحيد ، الذى لن يتوقع (اكرم) او (چيلان) قدومه منه ، ولكنه لم يكد يفتح باب السطح ، حتى وقع بصره على رجل يوليه ظهره ، وهو

يتطلع إلى أسفل ، وكأنما يتوقع صعود شخص ما إلى السطح ..

لقد حاصرت (چيلان) المكان حقا ، واتخذت الحذر ضد كل احتمالات فرار (نديم) ، حتى ولو حاول الصعود إلى السطح ..

وليس الهبوط منه لحسن الحظ ..

وكفهد قوى ، انقض (نديم) على الرجل ، واحاط عنقه بذراعه اليسرى ، ثم لوى ذراع الرجل اليمنى خلف ظهره فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تنبس بحرف واحد .

كاد الرجل يصرخ من فرط الألم والمفاجأة ، إلا أن صوت (نديم) الصارم جعله يكتم صرخته فى أعماقه ، ويقول فى صوت مختنق :

ـ ماذا تريد ؟

شدد (العقرب) فى ضغط ذراعه على عنق الرجل ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كم رجلا وضعتهم رئيستك ؛ لحراسة المكان ؟

أجابه الرجل فى ألم ، وهو يكاد يختنق :

ـ ثمانية رجال غيرى .. اثنان عند باب البناية ، وواحد فى المصعد ، واثنان فى الدور الرابع أمام المكتب ، واثنان يختفيان داخل المكتب نفسه ، وواحد على السطح .

سأله (العقرب) :

ـ على السطح ؟!.. أين هو ؟

شعر فجأة بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة عنقه ، مع صوت ساخر خشن يقول :

ـ هاندا .

وسمع صوت إبرة المسدس تتحرك ..

* * *

تطلعت (چيلان) إلى ساعة يدها ، وقالت فى عصبية :

ـ الثانية عشرة إلا الربع .. المفروض ان يكون فى طريقه إلى هنا الآن .

ابتسم (اكرم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا داعى لكل هذا التوتر .. إننا سنستقبله جيدا ، ايا كان موعد وصوله .

قالت فى غضب :

ـ انت تعلم اننى اكره الانتظار .

ضحك قائلا :

ـ حقا ؟!

رمقته بنظرة غاضبة ، وقالت فى توتر :

ـ اسمع يا (اكرم) .. صحيح اننى صبورة فيما يختص بالعمل ، ولكننى امضيت عشرسنوات كاملة دون متاعب او مشاكل ، وكل اعمالى تسير على خير ما يرام ، ولقد استقر بى المقام هذه المرة ، ويمكننى ان امارس عملى إلى

الابد ، دون ان يحمل مخلوق واحد ذرة من الشك فى امرى ؛ لذا فمن الطبيعى ان يقلقنى ويثير اعصابى تدخل شخص مثل هذا (العقرب) فى شئونى ، وتعرض اعمالى للخطر بغتة .

ابتسم قائلا :

ـ اطمئنى يا عزيزتى (چيلان) .. لن يربح هذا (العقرب) المعركة .. ثم إن اوراقنا كلها سليمة ، ولا يوجد ما يقلقنا .

شردت ببصرها مغمغمة :

ـ اتمنى ذلك يا (اكرم) .. اتمنى ذلك .

ولكن اعماقها كانت تحمل شيئا من الخوف ..

الخوف المبهم ..

* * *

فجأة ، تحرك (العقرب) ..

كان المجرم يلصق فوهة مسدسه براس (العقرب) ، عندما انحنى هذا الاخير فجأة ، ودفع ساعده إلى اعلى ، ليرفع اليد الممسكة بالمسدس عاليا ، ثم دار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وهوى بقبضته على فك الرجل كالقنبلة ، ولم ينتظر سقوطه ، بل استدار مرة اخرى ، وضم قبضتيه ، ليهوى بهما على مؤخرة عنق الرجل الآخر ..

وفى صوت مكتوم ، سقط الرجلان ارضا ..

وفى سرعة ، راح (العقرب) يقيد معصميهما خلف ظهريهما ، ثم الصق على فميهما شريطا لاصقا ، وغمغم :

ـ بقى سبعة رجال ، قبل ان انفرد بالافعى ومستشارها .

هبط فى درجات السلم فى خفة وسرعة ، حتى بلغ الطابق الخامس ، فتوقف هنـاك لحظـة ، وضغط زر المصعد ، واختفى إلى جوار بابه ، حتى صعد المصعد إليه ، وانفتحت ابوابه آليا ..

وكعاصفة هوجاء ، قفز (العقرب) داخل المصعد ، ورأى الرجل الذى وضعته (چيلان) هناك يحدق فيه فى ذهول ، فأضاع ذهوله بلكمة كالقنبلة ، تحطمت لها اسنان الرجل الأمامية ، وسقط بين ذراعى (العقرب) ، الذى قيده وكمم فمه بدوره ، ودفعه خارج المصعد ، بعـد ان استولى على مسدسه ، وضغط زر المصعد فى هدوء إلى الطابق الرابع ..

وفى الطابق الرابع توقف المصعد ، وانفتحت ابوابه ، وقفز (العقرب) خارجه ..

وانتزع الرجلان اللذان يحرسان الطـابق مسدسيهما ، ولكن قدم (العقرب) اطارت مسدس اولهما ، وهوت قبضته على فك الثانى ، ثم حطمت قبضته الأخرى انف الأول ..

وربح (العقرب) هذه الجولة ايضا ، بنفس السرعة والصمت المطلوبين ، وراح يقيد هذين الرجلين ويكممهما ، وهو يفكر فى الخطوة التالية ..

لقد تخلص حتى الآن من خمســة رجال ، وبقى امامه اربعة ..

اثنان عند مدخل البناية ، واثنان داخل المكتب ..

وقرر ـ منطقيـا ـ ان يقتحـم المكتب ، ويتخلص ممن داخله اولا ..

ولكن اين يجد هذين الرجلين ؟..

توقف لحظات يدرس الأمر ، ثم لم يلبث ان غمغم :

ـ (چيلان) هذه افعى سامة بالفعل ، ولا توجد سـوى وسيلة واحدة لهزيمة الأفاعى .

وعاد يصعد إلى السطح ..

* * *

هتفت (چيلان) فى حدة :

ـ الثانية عشرة تماما ، ولم يصل ذلك المحامى بعد .

قال (اكرم) :

ـ سيصل بين لحظة واخرى حتما .

اشعلت واحدة من سجائرها ، ونفثت الدخان فى حدة ، قائلة :

ـ لمـاذا تبدو واثقا هكذا ؟

تطلع إليها وهى تنفث دخان سيجارتها ، وقال :

ـ (چيلان) .. انت تسرفين كثيرا فى التدخين هـذه الأيام .

قالت فى عصبية :

ـ هذا شأنى .

هز كتفيه قائلا :

ـ كما يروق لك .

ثم اتجه نحو نافذة مكتبه ، مستطردا :

ـ على اية حال ، اظن ان هذا المحامى سيصل بسيارته الآن ، و ...

تراجع بغتة فى ذهول ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان !!

التفتت (چيـلان) إلى حيث ينظر فى حركة حادة ، ثم اتسعت عيناها بدورها ، وتراجعت وهى تطلق شـهقة قوية ..

لقـد كان أمامهمـا آخر شخص يتوقعـان رؤيتـه من النافذة ..

كان أمامهما (العقرب) ..

* * *

٩ ـ هزيمـــة ..

بذلت (غادة) اقصى جهدها ؛ لتبدو هادئة ، وهى مقيدة إلى مقعد ثقيل ، داخل حجرة كبيرة ، وأمامها يجلس رجل ضخم الجثـة ، شرس الملامح ، انهمـك فى تنظيف مدفع رشاش ، فى عناية بالغة ، وقد رفع قدميه فوق مائدة صغيرة فى مواجهتها ، وراح يطلق من بين شفتيه صفيرا منغوما ، لاغنية رديئة ، انتشرت فى الآونة الأخيرة ، بين اوسـاط الحرفيين ، ونالت بينهم شهرة واسعة ..

وعلى الرغم من الهدوء ، الذى ترسمه على وجهها ، كانت اصابعها تعمل فى همة ونشـاط ، فى محـاولة للتخلص من قيودها ، حتى ندت منه تنهيدة يأس ، جعلت الرجل يتوقف عن العناية بمدفعه الرشاش ، ويتطلع إليها بابتسامة مقيتة ، قائلا فى سخرية وخشونة :

ـ هل اصابك الملل ؟

أجابته ساخرة :

ـ وهل يمل المرء رؤية وجهك الوسيم ؟

عقد حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ هل كل المحاميات سخيفات هكذا ؟

اجابته بنفس اللهجة الساخرة :

ـ اخبرنى أولا .. هل كل المجرمين على نفس القدر من الغباء والبشاعة ؟

هب من مقعده فى غضب ، واندفع نحوها ، وجذب شعرها فى قسوة آلمتها ، وهو يقول :

ـ هل يروق لك ان اذبحك الآن ؟

قالت فى تهكم ، على الرغم من آلامها :

ـ وهل سيحرمنى هذا رؤية جمالك الفتان ؟

دفعها فى غلظة ، وهتف :

ـ اراهـن ان سـخريتك هــذه ســتتحول إلى ضراعة وتوسلات ، عندما يلمس نصل خنجرى الحاد عنقك .

ثم اشار إلى الهاتف ، مستطردا فى حدة :

ـ اتعلمين ماذا انتظر ؟ . . إننى انتظر محادثة من الزعيمة ، تبلغنى فيهـا بالتخلص من رفيقك ، وبتنفيذ المهمـة التى اوكلتها إلى .

ومال نحوها مضيفا فى شماتة :

ـ اتعلمين طبيعة هذه المهمة ؟

غمغمت فى خفوت ، وهى تتطلع إلى وجهه البشع :

ـ يمكننى ان اخمن .

نهض قائلا فى شماتة وتشف :

ـ ان اذبحك .

واخرج خنجرا حادا ، وغرس نصله فى سـطح المـائدة بحـركة سريعة ، وابتـسـم ابتـسـامة وحشية شرسـة ، مستطردا :

ـ وسانتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر .

وارتجف قلب (غادة) فى رعب . .

* * *

مضت لحظـات من صـمت ثقيـل وكل من (اكـرم) و (چيلان) يحدقان فى وجه (العقرب) فى ذهول ، قبل ان يتحول ذهول (چيلان) إلى غضب جارف ، وهى تهتف :

ـ كيف فعلت هذا ؟

قبـل ان يفتح (العقرب) فمـه ، اقتحم رجلان حجرة المكتب ، وكل منهما يحمل مسدسه ، فقفز (العقرب) إلى جوار (چيلان) ، وصوب مسدسه إلى صدرها ، قائلا فى صرامة :

ـ سأطلق النار على راسها مباشرة ، لو تحرك احدكما خطوة واحدة .

تجمد الرجلان فى مكانيهما ، وشحب وجه (اكرم) ، وهو يهتف :

ـ لا . . لن يفعل احدنا اى شىء .

وعادت (چيلان) تسأل فى غضب :

ـ كيف فعلت هذا ؟

أشار (العقرب) إلى اعلى ، قائلا :

ـ لقد اتيت من حيث لا ينتظرنى احد .

قالت فى حدة :

ـ اتعلم اننى استطيع ان آمر رجالى بقتلك هنا ؟

هز راسه فى برود ، وقال :

ـ لن يحدث هذا فانت راس الأفعى بالنسبة لرجالك ، ولن يجرؤ احدهم على إطلاق النار على ، وانا اهدد راسها .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ هكذا ؟!

ثم استدارت تواجهه بصدرها ، قائلة فى حدة :

ـ أطلق النار إذن :

ادهشته جراتها الشديدة حقا ، ولكنه قال فى صرامة :

ـ إنك تغرينني بأن افعل .

تقدمت بصدرها نحوه ، وهى تقول فى تحد :

ـ هيا .. افعل .. إننى اتحداك .

وفجاة اطلقت صرخة قتالية ، وقفزت قدمها تضرب المسدس من يده ، وتطيح به بعيدا ..

كانت تجيد القتال اليدوى حقا ..

وكانت المفاجاة هذه المرة من نصيب (العقرب) ..

وصرخت (چيلان) :

ـ إنه لكم يا رجال .

ثم تراجعت فى حركة حادة ، ووجد (العقرب) مسدسى رجليها مصوبين إليه ، وسمعها تطلق ضحكة ساخرة عالية ، وتقول :

ـ هيا .. اعترف ايها المقنع .. لقد خسرت معركتك هذه المرة .

بدا (العقرب) هادئا جامدا ، وكان ما حدث لا يعنيه كثيرا او قليلا ، فى حين ارتسمت ابتسامة ارتياح على وجه (اكرم) ، وهو يقول :

ـ رائع يا (چيلان) .. هل يطلق الرجال النار عليه ؟

هزت راسها نفيا ، وقالت :

ـ لا .. ليس هنا .

ثم تقدمت نحو (العقرب) ، وانتزعت قناعه بحركة مفاجئة ، وابتسمت فى ظفر ، قائلة :

ـ إذن فهو انت يا سيد (نديم) .

اجابها (نديم) فى هدوء :

ـ نعم .. هو انا .

قالت فى سخرية :

ـ تشرفنا .

وفجاة تحركت يدها فى سرعة ، وهوت على مؤخرة عنقه بضربة فنية مباشرة ، شعر معها (نديم) بالارض تميد تحت قدميه ، والأضواء تخفت امام عينيه ..

وسقط فاقد الوعى ..

وفى سخرية ، ابتسمت (چيلان) ، وقالت :

ـ ها هى ذى اسطورة اخرى تتحطم .

ثم اشارت إلى رجليها ، قائلة :

ـ احملوه إلى منطقة بعيدة ، عند كورنيش النيل ، واربطا حجرا ضخما إلى عنقه ، ثم القياه فى المياه الباردة ، مع تحياتى .

قالتها وعيناها تتألقان فى جذل وحشى ، فحمل الرجلان (نديم) وغادرا المكان ؛ لتنفيذ الامر ، فى حين سالها (اكرم) :

ـ وماذا عن الفتاة ؟

ابتسمت قائلة :

ـ أمرها أبسط مما تتصور .

ورفعت سماعة الهاتف ، وادارت رقما ما ، ولم تكد تسمع صوت ذلك الضخم القبيح ، الذى يقوم على حراسة (غادة) ، حتى قالت :

ـ انا (چيلان شوكت) . . نفذ الأمر .

تألقت عينا الضخم ، واعاد سماعة الهاتف إلى موضعها . وافتر ثغره عن ابتسامة وحشية ، وهو يلتفت إلى (غادة) ، التى ارتجف جسدها من قمة راسها وحتى اخمص قدميها ، عندما راته ينتزع الخنجر الحاد من سطح المنضدة ، ويتجه إليها ، وايقنت انها النهاية . .

ـ نهاية ليلة (العقرب) . .

انتهى الجزء الأول بحمد الله
تابع الجزء الثانى
فى العدد التاسع من
(كوكتيل ٢٠٠٠)

كلام أطفال . . (قصة قصيرة)

« أنا الوحش الجبار . . »

نطقها الطفل الصغير ، ذو الأعوام الستة ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ويبرز انيابه الصغيرة على نحو مضحك ، جعل والدته تبتسم ، وهى تقول :

ـ لقد اخفتنى بالفعل .

ضحك الصغير فى مرح ، وانطلق عائدا إلى حجرته ، وهو يصرخ :

ـ انا المرعب .

عقد الوالد حاجبيه فى قلق ، وهو يقول :

ـ إنهم يفسدون عقول الصغار بتلك الخرافات ، التى تزخر بها الافلام السينمائية هذه الأيام .

ابتسمت الوالدة فى حنان ، وهى تقول :

ـ ابنك يتميز بخيال جامح .

غمغم فى ضيق :

ـ وعدوانى .

اقتربت منهما الخادمة ، وقطعت حديثهما ، وهى تقول فى آلية :

ـ هل ننظف حجرة السيد الكبير اليوم ؟

التفتت الزوجة إلى زوجها فى قلق ، وقالت :

ـ ما رايك ؟

مط شفتيه ، وتنهد قائلا :

ـ لا بأس .. إنها لن تبقى مغلقة للأبد .

بدا الارتياح على وجه الخادمة ، وانصرفت إلى حيث حجرة الجد ، الذى انتقل إلى رحمة الله منذ عام كامل ، وراقبتها الوالدة ، وهى تختفى فى نهاية الممر الطويل ، الذى يقود إلى الحجرة ، ثم ربتت على كف زوجها ، قائلة فى إشفاق :

ـ يسعدنى انك قد وافقت اخيرا .

اشاح بوجهه ، ليخفى دمعة ترقرقت فى عينيه ، وهو يقول :

ـ انت تعلمين كم كنت احب ابى ، حتى اننى اعجز عن رؤية حجرته خالية !

ربتت على كفه مرة اخرى ، وقالت فى حنان :

ـ ولكن كان من الضرورى ان ننظف الحجرة ، فهى لن تبقى اكثر من عام مغلقة .

تمتم وهو يمسح دمعته خفية :

ـ بالتأكيد .

اندفع الصغير إلى حيث يجلسان ، وهتف فى حماس :

ـ امى .. ابى .. لقد عثرت الخادمة على حفرة عميقة فى حجرة جدى .

داعب الوالد راس الصغير ، وغمغم :

ـ لا بأس يا صغيرى .. لا بأس .

ابتسم الصغير فى مرح ، ولوح بكفيه ، قائلا :

ـ هل سيخرج منها الوحش الكبير ؟

ربت على راسه ، قائلا :

ـ لا توجد وحوش كبيرة او صغيرة ، فى عالم الواقع يابنى .. كل هذا مجرد خيال .

أوما الصغير برأسه متفهما ، واسرع عائدا إلى حجرة الجد ، ووالدته تهتف به :

ـ حذار من الاتربة الكثيفة .

والتفتت إلى زوجها ، مستطردة :

ـ الم اقل لك إنه يمتلك خيالا جامحا ؟

تمتم الوالد :

ـ اكثر مما ينبغى .

اندفع الصغير مغادرا حجرة الجد ، وهو يهتف :

ـ ابى .. امى .. لقد صعد الوحش الكبير من الحجرة ، وامسك الخادمة .

عقد والده حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ينبغى ان تكف عن هذا اللغو .

قالت الوالدة ، محاولة تهدئة الأب :

ـ إنه مجرد كلام طفل ، و ...

قاطعها فى حدة :

ـ بل هو كذب متعمد .

خشيت ان يتعاظم الأمر ، فقالت :

ـ صدقنى .. إنه كلام اطفال .

اما الصغير ، فقد شحب وجهه ، وغمغم :

ـ لقد خرج الوحش من الحفرة بالفعل ، وامسك الخادمة ، وجذبها إلى حفرته ليلتهمها .

قال والده فى صرامة :

ـ هكذا ؟!.. لماذا إذن لم تصرخ الخادمة مستنجدة ؟

لوح الصغير بذراعيه ، هاتفا :

ـ لقد امسك وجهها ، وكتم فمها ، و ...

صرخ به والده :

ـ كف عن هذا .

ثم جذبه من ذراعه ، واتجه نحو حجرة الجد ، مستطردا :

ـ سأثبت لك انك كاذب .

لحقت بهما الوالدة ، وقد ادهشها ان يتجه زوجها إلى حجرة والده الراحل ، التى خشى رؤيتها طيلة عام كامل ، وهى تهتف :

ـ صدقنى .. إنه كلام اطفال .. لا تجعله يثير اعصابك إلى هذا الحد .

رات زوجها يحدق داخل حجرة الجد ، ثم يتراجع فى حدة ، وادركت انه لم يحتمل رؤية الحجرة الخالية ، كما كانت تتوقع ، فلحقت به ، وهى تقول مشفقه :

ـ أرايت ما فعله بك كلام الأطفال .. لقد ..

بترت عبارتها بغتة ، واطلقت شهقة رعب قوية ..

لقد كانت هناك حفرة كبيرة فى زاوية الغرفة ، وإلى جوارها آثار مخالب حادة فى الارضية ..

وقد اختفت الخادمة المسكينة ..

اختفت إلى الأبد ..

روايات مصرية للجيب

أرزاق

رواية اجتماعية طويلة

من قلب الليل يأتى النهار ..
ومن قلب الظلم تأتى الرحمة ..
ومن المحال أن نأمل دوام الحال ..

ملخَّص ما سبق نشره

نجح الحاج (البنهاوى) ــ بكفاحه ــ من التحوّل من الفقر إلى الثراء ، فى القرية التى نزح إليها فى مديرية الغربية ، وراح يسعى لمنح أبنائه كل القوّة ، وأقنعه ابنه (حسين) ، الذى التحق بالكلية الحربية ، بالسعىَ للحصول على لقب (باشا) ، مقابل رشوة كبيرة للسراى ، وما إن علم العمدة والمأمور بهذا ، حتى دسّا لـ (البنهاوى) و (حسين) ، وألقياهما فى السجن بتهمة سياسية ، وأوقعا فى الوقت ذاته بالابن الصغير (مفيد) ، واتهماه بجريمة سرقة ، ولكن قيام الثورة أبدل كل الأمور ، وجعل (البنهاوى) و (حسين) يبدوأن فى صورة أبطال ، وخاصة بعد انضمام (حسين) إلى رجال الثورة ، إلا أن (البنهاوى) لم يحتمل صدمة فقدان معظم أرضه ، بقانون الإصلاح الزراعى ، فلقى مصرعه ، وترك ثروته كلها لابنه (حسين) ، الذى انشغل فى معارك باردة ، مع (إبراهيم مكى) ، ضابط البوليس السياسىّ السابق ، وزميله الحالى فى التنظيم الجديد ، الذى أقامته الثورة ..

ويثور (عمر) زوج (نعيمة) شقيقة (حسين) ، ولكن (رفعت كساب) ، عضو تنظيم الضباط الأحرار يجبر (عمر) على التنازل عن القضية ، التى رفعها ضد (حسين) ، الذى ارتبط بالأميرة (عايدة) ، إحدى أميرات العهد الملكى ، وسعى لمنحها تصريحًا بالسفر إلى (باريس) ، حتى نجح فى مَسْعَاه ، ودفعته شقيقته (شريفة) إلى تزويج شقيقه (حافظ) من (فاطمة) ، ابنة (عبد الحميد) العامل فى أرضهم ، وبعدها تقدّم شقيق أحد رجال مجلس قيادة الثورة لخطبة (شريفة) ، إلا أنه لم يكد يرى (ناهد) حتى أبدل رأيه ، وطلب الزواج من (ناهد) بدلًا من (شريفة) ..

وكانت صدمة قاسية لـ (شريفة) ..

٣١ ـ صـــفعة ..

أطلقت الأميرة (عايدة) ضحكة عالية : وهى تجلس إلى جوار (حسين) ، فى سيارة هذا الأخير ، التى تنطلق بهما إلى المطار ، والتفتت إليه تقول :

ـ طلب يد (ناهـد) بدلا من (شريفة) !.. يا له من موقف !.. وماذا فعلت انت ؟!

تنهد (حسين) ، وهز راسه قائلا :

ـ لم ادر ماذا اقول .. لقد هزتنى المفاجاة من الأعماق ، فطلبت منه مهلة للتفكير .

وزفر مرة اخرى ، قبل ان يهتف محنقا :

ـ ولكن لماذا وضعنى فى هذا المـازق الحرج ؟

ابتسمت (عايدة) فى سخرية ، وهى تقول :

ـ لانه الآن اشبه بطفل مدلل ، حاز شقيقه كل السلطة بضربة واحدة ، وهو لا يتصور ان يرفض مخلوق مطلبه ، مهما بلغت غرابته .

لم ينبس (حسين) ببنت شفه ، وإن عقـد حاجبيه فى ضيق ، فداعبت (عايدة) شعر راسه ، وهى تستطرد :

ـ ولن يمكنك رفض مطلبه .. اليس كذلك ؟

قال فى مرارة :

ـ لا يمكننى هذا .. انت تعلمين شقيق من هو ، ولكن

المشـــكلة ان (ناهد) ترفض الزواج منـــه ، حتى لا تجرح شقيقتها .

مطت (عايدة) شفتيها ، وقالت :

ـ غبيـــة .

ارتفع حاجبا (حسين) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ غبية ؟!.. ولكنها تساند شقيقتها ، التى جرح مطلب (فؤاد) مشاعرها إلى اقصى حد .

قالت فى حدة :

ـ اية مشاعر ؟!.. إن (شريفة) لم ترتبط بـ (فؤاد) هذا من قبل ، ولا تجمعهما قصة حب او هيام .. إنه مجرد شاب تقدم لخطبتها ، ولقد وقع اختياره على شقيقتها ، وهذا حقـــه .

اجاب فى ضيق :

ـ ربما كان هذا منطق العصر ، ومنطق المدن ، ولكن هذا يختلف فى الأرياف ، فـ (شريفة) هى الأخت الأكبر ، ومن الضرورى أن تتزوج قبل (ناهد) .

لوحت بكفها فى حزم :

ـ لا توجد ضروريات فيما يتعلق بالزواج .

بدا الضيق على وجهه ، فمالت نحوه ، وابدلت لهجتها باخرى ناعمة دافئة ، وهى تقول :

ـ ولكن دعنـــا من هـــذا .. ســـأشتاق إليك كثيرا فى (باريس) .

قال وهو يرنو إليها فى حب جارف :

ـ ساشتاق انا إليك اكثر هنا ..

ثم ضغط كفها بأصابعه فى حرارة ، مستطردا :

ـ ارسلى لى برقية فور وصولك إلى (باريس) يا (عايدة) .. ارجوك .

ابتسمت ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ اطمئن يا حبيبى .. سافعل بكل سرور .

قال فى لهفة :

ـ وعودى بسرعة .

اطلقت ضحكة عالية ، واشاحت بوجهها عنه ، تطلعت إلى المطار الذى يقترب فى سرعة ، وقالت :

ـ سأحاول يا (حسين) .. سأحاول .

ولكن لهجتها كانت تحمل شيئا لم يرق له ..

شيئا غامضا ..

ومخيفا ..

* * *

احتضنت (ناهد) شـــقيقتها (شريفـــة) فى قوة ، وهى تهتف مخلصة :

ـ لن اقبل يا (شريفة) .. لن اقبل هذا الزواج ابدا .

ازاحتها (شريفة) ، وقالت فى مرارة :

ـ لمـــاذا يا (ناهد) ؟.. إنه يطلبك انت لا انا ، وهـــذا حقـــه .

صاحب (ناهد) :

ـ لعنة الله عليه .. إنه لن يفرق بيننا ، لن اتزوجه ما دام يرفضك .

انحدرت دمعة من عينى (شريفة) ، وهى تقول :

ـ لن يسمح (حسين) بهذا .

قالت فى عناد :

ـ إنه لم يوافق بعد .

ـ ولكنه سيفعل .

ـ من المستحيل ان يسمح له (حسين) بإيذائك .

ـ انت تجهلين طبيعة (حسين) إذن .. إنه لن يخاطر برفض شقيق احد اعضاء مجلس قيادة الثورة .

ـ ولكننى ارفضه .

ـ لن يعنيه هذا كثيرا .

ـ مستحيل يا (شريفة) .. مستحيل !.

ـ لماذا يا (ناهد) ؟.. إنه مجرد زواج تقليدى .. إننى لم ارتبط مع هذا الضابط بقصة حب ، حتى انها لمجرد زواجك منه .

ـ ولكن ..

ـ تزوجيه يا (ناهد) .

نطقت (شريفة) العبارة الأخيرة فى صرامة وحزم ، وكانها قد حسمت رايها ، واتخذت قرارها فى هذا الشان ، فتطلعت إليها (ناهد) فى حيرة ، ورات كيف ان دموع شقيقتها قد جفت او نفدت ، فتمتمت :

ـ (شريفة) .. صدقينى .. إننى ..

قاطعتها (شريفة) فى حزم :

ـ (فؤاد) شاب جيد يا (ناهد) ، ومن الخطإ الا تصاهره اسرتنا ، ثم إن مصاهرتنا له ستمنحنا القوة ، التى حلم بها والدنا (رحمه الله) طيلة عمره ، ولن اسمح لنفسى بان اكون السبب فى عدم تحقيق حلم أبى .

تطلعت إليها ناهد) فى حيرة ، ثم خفضت عينيها مغمغمة :

ـ سيفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير حتما ..

وغادرت الحجرة فى خطوات بطيئة ، ولم تكد تغلق الباب خلفها ، حتى انهار قناع التماسك على وجه (شريفة) ، وانفجرت باكية ..

كانت اول صفعة لانوثتها ..

واقسى صفعة ..

* * *

ابتسم (إبراهيم مكى) ، وهو يدلف إلى حجرة (حسين) ، الذى نهض واقفا ، وقال فى لهجة لا تحمل اية مشاعر :

ـ مرحبا بك فى مكتبى .

جلس (إبراهيم) على اقرب مقعد إلى مكتب (حسين) ، وقال بلهجته الغامضة المقلقة :

ـ لقد رايت ان اقضى معك بعض الوقت .. هل يضايقك هـذا ؟

كان (حسين) يضيق بالجلوس مع (إبراهيم مكى) بالفعل ، إلا انه جلس فى بساطة ، وهو يقول :

ـ مطلقا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، وكانما ينتظر منه بدء الحديث ، ثم لم يلبث (إبراهيم) ان قال فى هدوء ، وبابتسامة لم ترق لـ (حسين) ابدا :

ـ لقد سافرت الاميرة (عايدة) .. اليس كذلك ؟

بدا الضيق على وجه (حسين) ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد سافرت هذا الصباح .

لم ترق له لهجة (إبراهيم) هذه المرة ايضا ، وهو يقول :

ـ وهل ستعود ؟

عقد (حسين) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بالطبع .

اطلق (إبراهيم) ضحكة قصيرة ساخرة خبيثة ، جعلت (حسين) يقول فى توتر :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟

اجابه (إبراهيم) :

ـ إننى اشفق عليك فى الواقع .

قال (حسين) فى عصبية :

ـ ومن قال إننى احتاج إلى شفقتك ؟

مال (إبراهيم) نحوه ، وقال فى بطء وبرود :

ـ لو انك لا تحتاج إليها الآن ، فستسعى إليها غدا .

قال (حسين) فى حدة :

ـ اتحداك .

تراجع (إبراهيم) ، هاتفا فى سخرية :

ـ تتحدانى ؟!

ثم اطلق ضحكة تهكمية مجلجلة ، انتزعت (حسين) من خلف مكتبه ، وجعلته يهتف فى غضب :

ـ لماذا تتعمد إثارتى ؟

القى عليه (إبراهيم) نظرة مستهترة ، مرددا :

ـ إثارتك ؟

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردا :

ـ لا تكن كالزوج ، آخر من يعلم يا فتى ، إن (عايدة) لن تعود إلى (مصر) ابدا .

تقافزت شياطين الغضب من وجه (حسين) ، وهو يهتف :

ـ اى قول احمق هذا ؟

اجابه (إبراهيم) فى سخرية :

ـ القول الحق ، الذى لم تشعر به ابدا ايها الغر الساذج ، والذى شعرنا به كلنا .. لقد كانت (عايدة) تلعب بك ، وتتخذك وسيلة للحصول على تصريح بالسفر إلى (باريس) ، حيث الأموال التى هربتها إلى هناك ، والمجوهرات التى تكفل لها العيش فى المستوى الذى الفته .

شحب وجه (حسين) ، وهو يجلس على مقعده فى بطء ، مغمغما :

ـ وسيلة ؟!

تابع (إبراهيم) فى تهكم :

ـ كلنا كنا نعلم هذا .. انا و (رفعت) بك .. وحتى القادة الكبار ، ولكننا راينا انك تحتاج إلى درس قوى ، لتتعلم كيفية التعامل مع هذا العهد الجديد ، ووجدنا انه لن يضيرنا كثيرا أن نسمح لـ (عايدة) بالفرار ، لنربح ضابطا قويا فى هذا المجال الجديد .

ردد (حسين) فى شحوب :

ـ مستحيل !

ثم اعتدل بغتة ، مستطردا فى حدة :

ـ إنها خدعة جديدة .. اليس كذلك ؟

هز (إبراهيم) راسه ، وقال :

ـ مطلقا .

والتقط من جيبه برقية مطوية ، ناولها إلى (حسين) ، قائلا :

ـ وهذا هو الدليل .

مد (حسين) اصابعه المرتجفة نحو البرقية ، والتقطها من بين اصابع (إبراهيم) ، وبذل جهدا لفضها ، مع ارتجافة اصابعه الشديدة ، ولم يكد يقرا الكلمات القليلة المسطورة عليها ، حتى هوى قلبه بين قدميه ، وتوقف عن النبض تماما ..

كانت الكلمات بالإنجليزية ، تقول :

ـ « اذهب انت وثورتك إلى الجحيم .. »

واسفلها اسم (عايدة) ..

وانهار (حسين) ..

انهار عاطفيا ومعنويا ..

لقد خدعته (عايدة) بالفعل ..

صفعته صفعة لن يحتملها ..

صفعة كالقنبلة ..

وفى انهيار القى البرقية ، وتركها تتراقص فى الهواء ، قبل ان تستقر بين قدميه ارضا ..

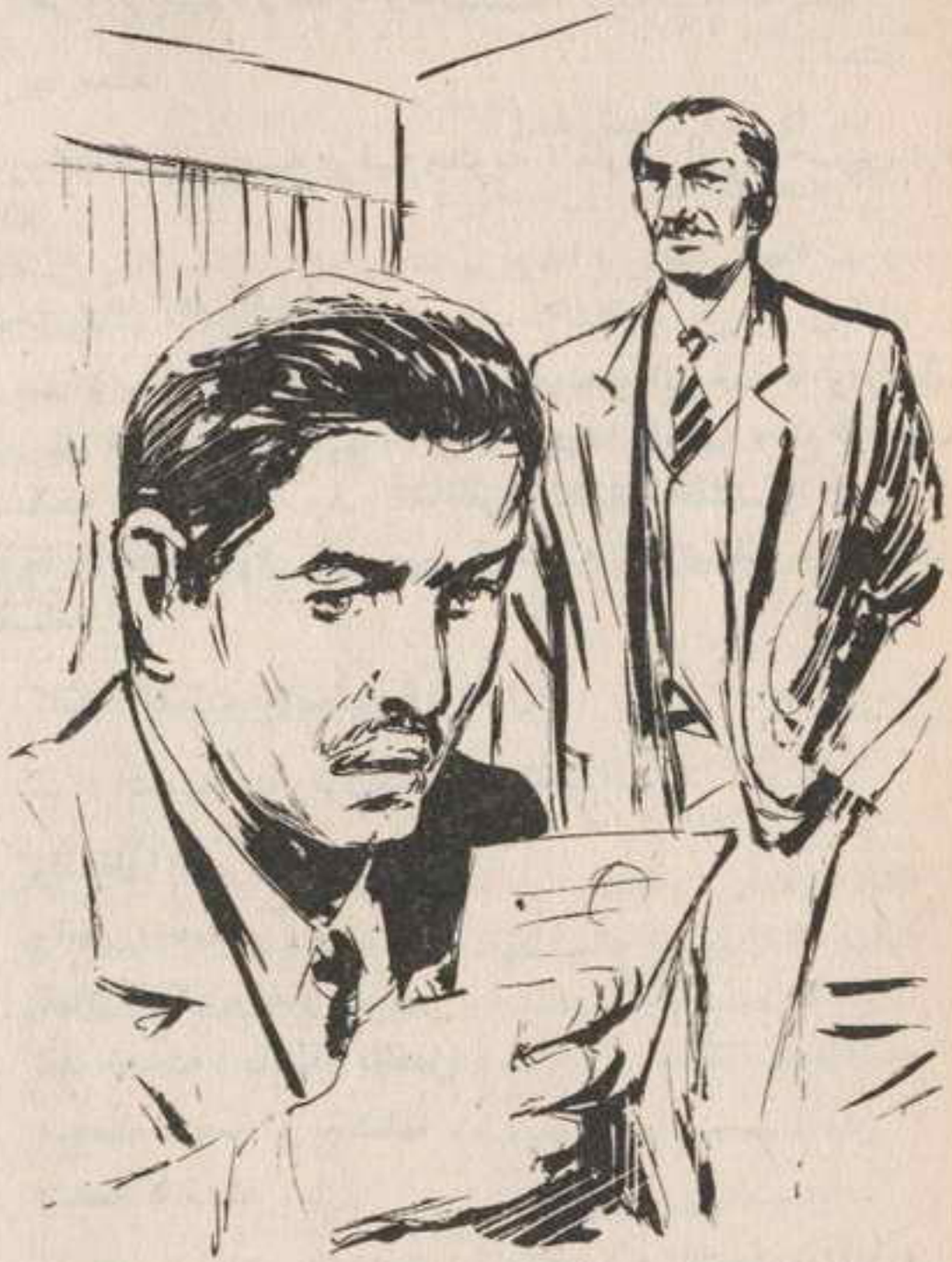

وفى هـدوء نهض (إبراهيم مكى) ، والتقط البرقيـة ، وطواها مرة أخرى ، ووضعها فى جيبه ، قائلا فى لهجة واضحة الشماتة :

ـ إنه فشل ذريع يا رجل .

تطلع إليه (حسين) منهارا مستجديا مستنجدا ، وهو يغمغم :

ـ ماذا افعل ؟.. سيحطم هذا مستقبلى تماما .

ابتسم (إبراهيم) فى ظفر ، وكأنمـا راق له ان يلجـأ (حسين) إليه على هذا النحو ، أو كأنه كان يسعى إلى هذا بالذات ، وقال فى هدوء :

ـ هل تريد رأيى حقا ؟

تمتم (حسين) :

ـ أرجوك .

اعتدل (إبراهيم) ، وبدت قامته أكثر طولا ، وهو يقول :

ـ سارع بإتمام زواج شقيقتك (ناهد) من (فؤاد) .

تطلع إليه (حسين) فى دهشة وحيرة ، فابتسم (إبراهيم) فى خبث ، وقال :

ـ سيضمن لك هذا حماية كافية .

وبدت له الفكرة منطقية ومقبولة ..

إنه باتمام الزواج سيصبح صهرا لواحد من اقوى رجال مجلس قيادة الثورة ..

وسيحصل على الحماية ..

كل الحماية ..

وفى نفس اللحظة التى راح عقله يدرس فيها الفكرة ، استرجعت ذاكرته عبارة قديمة قالتها (عايدة) عن (إبراهيم مكى) ..

« إنه لا يسعى لهزيمتك ، وإنما لفرض سيطرته عليك .. »

وادرك لحظتها انها كانت على حق ..

على حق تماما ..

* * *

٣٢ ـ الخسارة ..

اقيم حفل زفاف (ناهد) و (فؤاد) فى احد الفنادق الفاخرة ، فى قلب (القاهرة) ، وشعر (حسين) بالارتياح يغمر قلبه ، عندما حضر معظم رجال مجلس قيادة الثورة الحفل ، وبدوا كرمز للقوة والسطوة ، بأزيائهم الرسمية ذات الأزرار اللامعة ، وهم ينتشرون داخل الحفل ، بعد ساعات من إعلان الجمهورية ، وإلغاء الملكية ..

وعلى الرغم من ابتسامة (شريفة) ، التى لم تفارق شفتيها طيلة الحفل ، كان قلبها يشعر بشىء من الحزن ؛ لأن شقيقتها الصغرى قد سبقتها إلى الزواج ..

أما (ناهد) نفسها فقد انساها ثوب الزفاف ، وانستها مظاهر الفرح موقفها المساند لشقيقتها ، فاينع وجهها باتسامة فرح وزهو ، وهى تجلس إلى جوار عريسها الوسيم ، وسط باقات الزهور ، ورجال السلطة فى البلاد ..

ولم يحضر (عمر) الحفل كالمعتاد ، وإن لم يمنع زوجته من حضوره ، على الرغم من انه يقام فى (القاهرة) ، بخلاف كل حفلات الزفاف السابقة فى الأسرة ، وحضر (عبد الحكيم) وزوجته (توحيدة) ، وقد شملهما تحفظهما التقليدى ، فاكتفيا بالابتسام ، ومتابعة الحفل فى رصانة ، فى حين انتحى (مفيد) ركنا قصيا فى صمت ، يراقب رجال مجلس قيادة الثورة ، باكثر مما يراقب العروسين ، إلى أن ربت (رفعت كساب) على كتفه ، وهو يجلس على المقعد المجاور له ، قائلا :

ـ كيف حالك يا (مفيد) بك ؟.. هل ستكتفى بالمشاهدة فحسب ؟

اجبر (مفيد) نفسه على الابتسامة ، وهو يقول :

ـ نظام حفلات الزفاف فى الفنادق الكبرى ، لا يسمح لأقارب العروس بغير هذا .

ضحك (رفعت) ، وهو يقول :

ـ هذا افضل .. اليس كذلك ؟

ودون ان ينتظر جوابا من (مفيد) ، مال نحوه مستطردا :

ـ ولكن لماذا تبدو قلقا ؟

ابتسم (مفيد) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ يبدو انك شديد الملاحظة .

اجابه (رفعت) فى زهو :

ـ إنه عملى .

ثم اضاف فى اهتمام :

ـ ولكنك لم تجب عن سؤالى بعد .. لماذا تبدو قلقا ؟

شرد (مفيد) ببصره لحظات ، وهو يتساءل عما إذا كان من اللائق ان يخبره بسبب قلقه الحقيقى ام لا ..

لقد كان الموقف كله يقلقه ..

رجال الثورة باناقتهم المفرطة ، وزهوهم الواضح ..

سعادة (ناهد) الجمة ، وهى تزف إلى الرجل الذى جاء يخطب شقيقتها فى البداية ..

الحزن الكامن فى اعماق (شريفة) ، والذى تخفيه ابتسامتها الشاحبة ..

عدم حضور (فاطمة) و (حافظ) الحفل ..

كل هذا يحنقه ويقلقه ، ولكن سبب قلقه الفعلى كان يختص بـ (ماهر) و (زينب) ، ولقد افصح عن هذا السبب الأخير لـ (رفعت) ، قائلا :

ـ الواقع ان تأخر (ماهر) و (زينب) يقلقنى ، فلقد ابتاع (ماهر) سيارة جديدة ، واصر على الحضور بوساطتها إلى (القاهرة) ، وهو لم يجد قيادة السيارات بعد ، و ...

قاطعه (رفعت) مبتسما :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .. سارسل دورية للبحث عنهما على الطريق ، ربما اصيبت سيارة (ماهر) بعطب او خلل ما .. اطمئن .

تركه وذهب ليلقى اوامره بإرسال الدورية ، فى حين راح (مفيد) يتطلع إلى الحفل مرة أخرى ، وهو يتذكر (مديحة) ، التى لم يرها منذ اكثر من شهر ، والتى لم يستطع دعوتها مع والدها لحضور حفل زفاف شقيقته ..

وتساءل فى اعماقه : هل يوافق (حسين) على زواجه من (مديحة) ، كما وافق على زواج (حافظ) من (فاطمة) ؟..

لم يستطع إيجاد جواب حاسم منطقى ، لعجزه عن استنتاج مواقف وقرارات (حسين) ، التى تتناسب دوما مع حالته النفسية ..

وحالة (حسين) النفسية تبدو له غامضة هذه الأيام ..

إنه يبدو اشد صرامة وقسوة ، على الرغم من حزن دفين فى اعماقه ، تفصح عنه عيناه فى وضوح ..

ثم إنه لم يعد يتحدث عن زواجه بتلك الأميرة السابقة . .

لقد تشاجر حتى مع (شريفة) ، ومنعها من ذكر الأمر ، عندما سألته عنها . .

لا ريب انها قد انفصلا . .

او اختلفا . .

بحث بيصره عن (حسين) ، حتى رآه يجلس عند ركن القاعة ، حول منضدة واحدة مع (إبراهيم مكى) ، ولم يتصور لحظتها انهما يتحدثان عن نفس المرأة . .

عن الأميرة (عايدة) . .

كان (إبراهيم) يقول :

ـ هل علمت ان (عايدة) قد افتتحت متجرا فاخرا للأزياء فى (باريس) ؟

اشاح (حسين) بوجهه ، وهو يجيب :

ـ نعم . . لقد اخبرنى مندوبنا هناك .

نفث (إبراهيم) دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ يلوح لى ان هذا العمل يناسبها كثيرا ، فهو يعتمد على المظاهر الخداعة ، والبراعة فى إقناع العملاء .

تمتم (حسين) فى اقتضاب ، وكأنما يرغب فى إنهاء الحديث حول هذه النقطة :

ـ هذا صحيح .

ابتسم (إبراهيم) فى خبث ، وكأنما ادرك غرض (حسين) ،

والتفت يتابع فقرات الحفل ، قبل ان يسأل (حسين) فى هدوء :

ـ هل علمت بالخلاف بين (محمد نجيب) ، واعضاء مجلس قيادة الثورة ؟

التفت إليه (حسين) فى دهشة :

ـ اى خلاف ؟! . . لقد اعلنوا إلغاء الملكية وقيام الجمهورية اليوم فحسب !

اتسعت ابتسامة (إبراهيم) ، وكأنما راق له ان يدهش الخبر (حسين) ، وقال :

ـ إنه خلاف قديم ، فلقد وضعوه على راسهم ، على الرغم من انه لم يقد الثورة فعليا ، ولكنه يرفض الاعتراف بهذا ، ويصر على الظهور بمظهر الزعيم ، وهذا لا يروق لهم طبعا ، وبخاصة لـ (جمال عبد الناصر) ، القائد الحقيقى للثورة .

سأله (حسين) فى اهتمام :

ـ وهل تتوقع ان يتطور هذا الخلاف ؟

التفت إليه (إبراهيم) ، واجاب فى حسم :

ـ بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطردا :

ـ واظننا سنضطر قريبا إلى تحديد موقفنا فى حسم ، ما بين تأييد (جمال) او (نجيب) .

ازدرد (حسين) لعابه فى توتر وسأله :

ـ ومن تختار فى هذه الحالة ؟

اجابه فى حسم :

ـ (جمال عبد الناصر) ، وبلا تردد .

ساله (حسين) فى دهشة :

ـ اتثق فى قدراته إلى هذا الحد ؟

ابتسم (إبراهيم) فى خبث ، وهو يقول :

ـ تستطيع ان تقول إننى امتلك حاسة خاصة ، تقودنى دائما إلى اصحاب القوة .

كانت هذه آخر عبارة تبادلاها خلال الحفل ، وإن راح (حسين) يسترجعها ، ويقلبها على كل الوجوه ، حتى حانت زفة العروس ، وانتقلت (ناهد) مع عريسها إلى حجرتهما ، فى الفندق نفسه ، وهدات الأمور نسبيا ، وراح (حسين) يصافح المهنئين ، ويشكر رجال مجلس قيادة الثورة فى أثناء انصرافهم ، ثم التفت إلى شقيقه (مفيد) ، يسأله فى ابتهاج :

ـ ما رايك ؟.. كان حفلا رائعا .. أليس كذلك ؟!

بدا له (مفيد) واجما متوترا ، فكرر سؤاله الاخير فى حدة :

ـ اليس كذلك يا (مفيد) ؟

رفع (مفيد) إليه عينين شاردتين ، وبدا وكأنه ينتبه إلى وجوده بغتة ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا (حسين) .. لم انتبه إليك .. كنت افكر فى امر (زينب) و (ماهر) .

ساله فى توتر :

ـ ماذا عنهما ؟

قال (مفيد) فى قلق واضح :

ـ إنهما لم يحضرا الحفل ، ولقد ارسل (رفعت كساب) دورية خاصة للبحث عنهما ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يشير إلى ما خلف (حسين) ، هاتفا :

ـ ها هو ذا .. لقد عاد .

التفت (حسين) إلى (رفعت كساب) ، الذى تقدم نحوهما بخطوات سريعة ، وبدا جامدا ، وكأنما يحاول إخفاء امر ما ، فساله (حسين) فى قلق :

ـ هل عثرت على شقيقتى وزوجها يا (رفعت) بك ؟

ربت (رفعت) على ذراعه ، وقال :

ـ تماسك يا (حسين) .. أنت رجل ، والرجال يحتملون اشد المواقف ، و ...

صاح (مفيد) فى هلع :

ـ ماذا حدث يا (رفعت) بك ؟.. ماذا حدث ؟

خفض (رفعت) عينيه ، وهو يقول :

ـ لقد تعرضت سيارة (ماهر) لحادث سير ، و ...

قاطعه (مفيد) صارخا :

ـ وماذا ؟..

ران الصمت لحظة واحدة ، بلغ خلالهـا شحوب وجـه (حسين) اقصى مداه ، وخفق فيهـا قلب (مفيد) الف خفقة على الأقل ، قبل ان يقول (رفعت) :

ـ البقية فى حياتيكما .. لقد لقيا مصرعهما معا .

وخيل لـ (مفيد) لحظتها ان قلبه قد توقف عن الخفقان .. إلى الأبد ..

* * *

٣٣ ـ الحـــزن ..

تسللت (مديحة) عبر أعواد القطن ، إلى جذع الشجرة الكبيرة ، وارتفع حاجباها فى حنان وإشفاق ، وهى تتطلع إلى (مفيد) ، الذى ارتكن إلى جذع الشجرة بظهره ، وضم ركبتيه إلى صدره ، وشرد ببصره بعيدا ، وقد التمعت عيناه

بدموع حبيسة ، تأبى كرامته السماح لها بالانطلاق معلنة حزنه ..

ودون أن يتفوه بحرف واحد ، جلست (مديحة) إلى جواره ، وتسللت يدها الرقيقة تتحسس كفه ، وتربت عليها فى تعاطف ، فمنحها نظرة امتنان ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ كنت أعلم انك ستأتين يا (مديحة) .

قالت فى حنان :

ـ ما كنت لأتركك وحدك ، مع كل هذا الحزن .

تنهد فى حرارة ، وقال :

ـ لقد احاط بنا حزن هائل ، منذ بلغنا الأمر يا (مديحة) ؛ فلقد كانت (زينب) زهرة اسرتنا ، واللمسة الرقيقة لحياتنا ، وبالنسبة لى بالذات لم تكن مجرد شقيقة ، وإنما كانت أما ايضا ، بعد أن فقدت امى مع مولدى كما تعلمين .

فرت دمعة من عينيه دون أن يدرى ، وسالت على وجنتيه ، وانفطر لها قلب (مديحة) ، فشاركتها بدمعة حزن من عينيها ، وهى تقول :

ـ إنه القدر يا (مفيد) ، وانت رجل مؤمن .

تمتم :

ـ نعم .. إنه القدر ..

وشرد ببصره لحظات اخرى ، سال فيها الدمع على وجهه دافئا ، فربتت (مديحة) على كفه مرة اخرى فى حنان ، وسمعته يقول فى حزن :

ـ أول مرة ارى فيها (حسين) يبكى فى حرارة .. لقد كانت صدمة قاسية له ، و لـ (ناهد) ، التى علمت الخبر صباح زفافها ، و (شريفة) لا تزال تبكى حتى هذه اللحظة ، على الرغم من مرور اسبوع كامل على وفاة (زينب) و (ماهر) ..

وصمت لحظات ، قبل ان يضيف :

ـ ولكن (عمر) زوج (نعيمة) لم يأت لتعزيتنا .. لقد ارسل برقية عزاء فقط ، مثلما يفعل الغرباء ، فى حين وقف (عبد الحكيم) زوج (توحيدة) إلى جوارنا وقفة فارس .. حقا .. المصائب تبرز الرجال .

غمغمت :

ـ انت تعلم موقف (عمر) من اسرتكم ، منذ حادثة (حسين) وقضية الميراث .

هز راسه ، وقال :

ـ الموت اجل من ان تعترضه مثل هذه الخلافات .

تنهدت وقالت :

ـ ليت الجميع مثلك .

ثم سألته فى اهتمام !

ـ وهل عاد (حسين) إلى شقته فى (القاهرة) ؟

اومأ براسه إيجابا ، وقال :

ـ من العسير على رجل فى وضع (حسين) أن يبتعد عن مكان عمله طويلا .

ربتت على كفه مرة اخرى ، فالتفت إليها ، وقال فى حزن :

ـ لست ادرى لماذا يفعل بنا القدر هذا يا (مديحة) ؟.. كلما اقترب موعد لقائنا باعدت بيننا احداث مؤلمة .

تمتمت :

ـ لكل شىء موعده يا (مفيد) .

اراح راسه على جذع الشجرة ، وهو يتمتم :

ـ نعم .. لكل شيء موعده ..

ولكن القدر كان يخفى لهما الكثير ..

الكثير جدا ..

* * *

اندفع العمدة داخل حجرة الضيافة بمنزله ، وهو يهتف فى قلق :

ـ خيرا يا سعادة البك المـأمور .. اخبرونى انك تطلب رؤيتى على وجه السرعة .. ماذا حدث ؟!

اجابه المـأمور فى انفعال واضح :

ـ لقد استقال (محمد نجيب) .

هتف العمدة فى دهشة :

ـ استقال ؟!

والقى جسده على اريكة قريبة ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يكرر :

ـ استقال ؟!.. كيف ؟.. لماذا ؟

لوح المـأمور بكفه ، قائلا :

ـ لا احد يدرى .. لقد نشر بيـان استقالته فى صحف الصباح .

غمغم العمدة ذاهلا :

ـ يا لها من مفاجاة !

مال المـأمور نحوه ، وقال :

ـ هناك مفاجاة اخرى تثير القلق .

رفع العمدة عينيه إليه ، وسأله :

ـ اية مفاجاة ؟

اعتدل المـأمور ، وتلفت حوله فى قلق ، ثم عاد يميل على اذن العمدة ، قائلا :

ـ (حسين البنهاوى) هنا فى القرية ، وهو يعلن تأييده لاستقالة (محمد نجيب) ، ويصر على أن (جمال عبد الناصر) احق منه بالرياسة ..

عقد العمدة حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ عجبا !!.. من المؤكد ان لديه ما يدفعه لهذا التأييد ، فهو احد رجال السلطة ، ويعلم حتما ما يخفى عنا نحن .

هز المـأمور راسه نفيا ، وقال :

ـ كلا .. يبدو لى انه مجرد انفعال عاطفى ، فلقد اتصلت بابن شقيقتى فى (القـاهرة) ، وعلمت منه ان الشعب كله ثائر لاستقالة (نجيب) ، وانه سيعود إلى موقعه حتما .

برقت عينا العمدة ، وهو يقول :

ـ اتعنى انه فى حالة عودته يكون ابن (البنهاوى) قد ...

قاطعه المـأمور فى لهفة :

ـ وقع .. نعم يا عمدة .. لو عاد (محمد نجيب) إلى الحكم ، بعد ما يفعله (حسين البنهاوى) الآن ، فسيعنى هذا أن ابن (البنهاوى) قد وقع شهادة وفاته بنفسه .

ازداد بريق عينى العمدة ، وهو يقول :

ـ وان ما ننتظره قد حان . .

وفى صوت واحد ، اكمل الاثنان :

ـ بداية نهاية عائلة (البنهاوى) .

وعلى شفتيهما ، ارتسمت ابتسامة . .

ابتسامة ظفر . .

وشر . .

* * *

« خطـا . . »

نطق (إبراهيم مكى) الكلمة فى غضب صارم ، وهو يضرب سطح مكتبه براحتها كلها ، فغمغم (حسين) فى توتر :

ـ لمـاذا ؟ . . لقد فعلت نفس ما اشرت انت إليه . . لقد قمت بتأييد (جمال عد الناصر) بلا تردد ، فور نشـوب الخلاف بينه وبين (نجيب) .

صاح (إبراهيم) ، وهو يلوح بكفه :

ـ افعل هذا فى اعماقك ، ولا تعلنه على هذا النحو .

ساله (حسين) :

ـ لمـاذا ؟ . . لقد انتصر (عبد الناصر) بالفعل .

صاح (إبراهيم) :

ـ ليس بعد .

ثم مال نحوه ، مستطردا فى حدة :

ـ الم تصلك اخبار المظاهرات فى كل مكان ؟ . . الم تعلم ان الشعب كله يطالب بعودة (محمد نجيب) ؟ . . الم تدرك انه اول احتجاج شعبى جارف ، على احد قرارات الثورة ؟

شحب وجه (حسين) ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى !! . . هل يعنى هذا . . ؟

لوح (إبراهيم) بكفه ، وقال :

ـ إنه لا يعنى شيئا . . او بمعنى ادق ، لم يعن شيئا بعد ، ولكن توقف عن الخوض فى لعبة السياسة ، ولتكتف مثلى بطاعة الأوامر ، والانتماء إلى من يحكم . . ايا كان .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم ساله (حسين) فى قلق :

ـ هل تتوقع عودة (نجيب) ؟

أجابه فى حزم :

ـ بالتاكيد .

عاد وجه (حسين) إلى شحوبه ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى !

مط (إبراهيم) شفتيه ، وقال فى صرامة :

ـ ولكن هذا لن يستمر طويلا .

ساله (حسين) فى لهفة :

ـ ولمـاذا تؤكد هذا ؟

صمت (إبراهيم) لحظات ، ثم قال :

ـ دراستى لشخصية (جمال عبد الناصر) تؤكد انه محب للسلطة والزعامة ، وان هذا يجرى فى عروقه مجرى الدم ، ولن يسمح ابدا بأن يراسه (محمد نجيب) ، بل سيفسح له فى المجال قليلا ، حتى يجد الوسيلة المثلى للتخلص منه ، دون أن يؤذيه هذا .

ساله (حسين) :

ـ ومتى سيفعل ؟

شرد (إبراهيم) ببصره ، وقال :

ـ قريبا .. قريبا جدا .

ثم عاد يرمق (حسين) بنظرة صارمة ، مستطردا :

ـ المهم ان تطيع ما اشير به عليك دوما ، ودون مناقشة .

انكمش (حسين) دون أن يدرى ، وهو يغمغم :

ـ سأفعل يا (إبراهيم) بك .. سأفعل .

ولم يدرك لحظتها ان نبوءة (عايدة) قد تحققت ، وان (إبراهيم مكى) قد سيطر عليه ..

تماما ..

* * *

٣٤ ـ تمـــرُّد ..

شردت (شريفة) بأفكارها طويلا هذه المرة ، وهى تقف فى مطبخ السراى مع (فاطمة) ، وقفزت بها افكارها إلى عدة اشهر مضت ..

إلى يوم زفاف (ناهد) إلى (فؤاد) ..

نفس اليوم الذى اختطف فيه القدر سعادتها وزهو انوثتها ، واختطف فيه الموت احب شقيقاتها إليها ..

وفى تلك اللحظة بالذات استعادت حديثا قديما ، دار بينها وبين شقيقتها الراحلة (زينب) ، وانتهى بأن تمنت كل منهما امنية ..

تمنت (زينب) أن تتزوج (ماهر) ، وان تحيا معه الف عام ..

وتمنت هى ان تتزوج اى رجل ، وان تنجب منه الف طفل ..

وتزوجت (زينب) (ماهر) ، ولكنها لم تحيا معه حتى الف يوم ..

ولم تتزوج هى حتى الآن ..

اى قدر هذا ؟..

بل اى مصير ؟..

ومن عينيها انحدرت دموع ساخنة ، لمحتها (فاطمة) ، فربتت على كتفها فى حنان ، وغمغمت متعاطفة :

ـ لا تبكى يا (شريفة) .

ازاحت (شريفة) يد (فاطمة) عن كتفها فى عنف ، وصاحت بها وهى تمسح دموعها :

– لا تنطقى اسمى مجردا هكذا يا ابنة (عبد الحميد) .. لا تخاطبينى إلا باسم سيدتى (شريفة) .

تراجعت (فاطمة) ، وهى تهتف مستنكرة :

– سيدتى ؟!.. لماذا ؟! إننى لست خادمتكم ، بل أنا زوجة شقيقكم .

صرخت بها (شريفة) فى ثورة ، وكأنها تفرغ فى (فاطمة) كل ما تجيش به نفسها من انفعالات :

– وبئس الزوجة !

صاحت (فاطمة) :

– المهم أننى زوجته ، ولم أعد أحتمل اسلوبكم هذا فى التعامل معى .

كانت أول مرة تواجه (فاطمة) الثورة بالثورة ؛ لذا فقد حدقت فيها (شريفة) فى دهشة لبضع دقائق ، قبل ان تهتف بها فى غضب :

– كيف تجرئين ؟

صاحت (فاطمة) :

– ولم لا اجرؤ .. إننا نتساوى هنا ..

ثم رفعت أحد حاجبيها ، مستطردة فى شماتة :

– بل انا افوقك الآن .

امتقع وجه (شريفة) ، وخيل إليها أن (فاطمة) تشير إلى عدم زواجها ، فغمغت فى مرارة غاضبة :

– ايتها الحقيرة .. كيف ؟..

قاطعها صوت (مفيد) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ماذا حدث هذه المرة ؟.. الا يمكن تركككما وحدكما ، دون ان تندلع الحرب بينكما ؟

صاحت (شريفة) فى غضب :

ـ هذه الحقيرة تعيرنى بعدم الزواج .

التفت (مفيد) إلى (فاطمة) ، وسألها فى صرامة :

ـ اهذا صحيح ؟

هزت كتفيها ، وقالت :

ـ انا لم اقل هذا .

صاحت (شريفة) :

ـ ولكنك اشرت إليه .

قالت (فاطمة) فى خبث :

ـ كل يتحسس كدمة راسه .

صرخت (شريفة) :

ـ ارايت ؟

قال (مفيد) فى حدة :

ـ لست اسمح بهذا يا (فاطمة) . صحيح انك زوجه شقيقى ، ولكن ...

ولأول مرة فى حياتها ، قاطعته (فاطمة) فى غلظة :

ـ ليس لك الحق فى ان تسمح او لا تسمح .. إن لى زوجا .

ادهش موقفها (مفيد) فى شدة ، فتمتم :

ـ ولكننى ..

قاطعته مرة اخرى هاتفة :

ـ قلت ليس لك الحق .

ثم اندفعت تغادر المطبخ ، إلى حجرة (حافظ) ، فالتفت (مفيد) إلى (شريفة) ، يسألها فى دهشة :

ـ ماذا أصابها ؟

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ يبدو انها قد اصيبت بالجنون .

لم تكد تتم عبارتها حتى برز (حافظ) خارج الحجرة ، وخلفه (فاطمة) تبكى ، وقال (حافظ) لـ (مفيد) فى توتر :

ـ لماذا تؤذى مشاعر زوجتى ؟

بدا ذلك الموقف عجيبا بحق ، فقد كانت المرة الأولى التى يتخذ فيها (حافظ) موقفا إيجابيا ، منذ وفاة والده ..

بل منذ مولده ..

وبارتباك احدثته المفاجأة ، غمغم (مفيد) :

ـ لم يؤذ احد مشاعرها يا (حافظ) .. إنه مجرد نقاش عادى بينها وبين (شريفة) ، و ...

قاطعه (حافظ) فى توتر زائد :

ـ لن اسمح لأحد بإيذائها بعد هذه اللحظة .

حدقت (شريفة) فى وجه شقيقها فى ذهول ، ثم نقلت بصرها إلى (فاطمة) ، التى وقفت خلفه تبتسم فى خبث وشماتة ، وسألتها :

ـ كيف فعلت هذا ؟

داعبت (فاطمة) خصلة من شعرها الخشن وارتفع حاجباها فى زهو ، ثم القت قنبلة من جملة واحدة :

ـ انا حامل .

واتضحت صورة المعجزة ..

* * *

برقت عينا المأمور ، وهو يمسك سماعة الهاتف فى قوة ، صائحا فى انفعال :

ـ هل انت واثق من هذا ؟.. هل عاد (محمد نجيب) حقا ؟

دفعه الانفعال إلى إطلاق ضحكة مجلجلة ، وهو يعيد سماعة الهاتف ، ويلتفت إلى العمدة قائلا :

ـ أرايت يا عمدة ؟.. ارايت ؟.. لقد عاد (محمد نجيب) إلى الحكم فى يومين فحسب .. الم اقل لك ؟.. لقد خسر ابن (البنهاوى) كل ما ربحه منذ قيام الثورة .

قال العمدة فى لهفة :

ـ أتظنه قد خسر اللعبة بالفعل ؟

قهقه المأمور ضاحكا مرة اخرى ، وقال :

ـ ماذا تفعل انت به ، لو انك فى موضع (محمد نجيب) ، بعد ان وقف هو يؤيد (جمال عبد الناصر) علنا ؟

برقت عينا العمدة بدوره ، وهو يقول :

ـ صدقت .

ثم ساله فى اهتمام :

ـ والآن ماذا ستفعل به ؟

لوح المأمور بكفه ، وقال بابتسامة عريضة ، كادت تلتهم وجهه كله :

ـ سننتظر حتى ياتى إلى القرية .

هتف العمدة :

ـ ثم ماذا ؟

اطلق المأمور تنهيدة قوية ، ثم عاد يبتسم تلك الابتسامة العريضة ، ويجيب :

ـ ثم نعيده إلى حجمه الحقيقى ..

وادنى سبابته وإبهامه من بعضهما البعض ، واضاف فى غطرسة :

ـ حجم الحشرة ..

* * *

بدا (حسين) شديد التوتر ، وهو يجلس إلى جوار (إبراهيم مكى) ، فى مكتب هذا الأخير ، وراح يفرك كفيه فى قلق ، وهو يسأله :

ـ ماذا سيحدث الآن ؟

اجابه (إبراهيم) :

ـ لا شىء .. لست اظن ان (محمد نجيب) سيذكر تأييدك لـ (عبد الناصر) من عدمه .

قال (حسين) فى قلق شديد :

ـ وماذا لو فعل ؟

تنهد (إبراهيم) ، واتجه إلى النافذة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتطلع منها ، مغمغما :

ـ لست ادرى .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم التفت (إبراهيم) إلى (حسين) ، وقال فى صرامة مباغتة :

ابتعد .

ساله (حسين) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

اجابه فى حزم :

ـ أعنى أن أفضل ما تفعله الآن هو أن تبتعد عن مسرح الأحداث .. اذهب إلى قريتك ، واقض بضعة اشهر هناك ، حتى تهدأ الأمور .

غمغم (حسين) فى حيرة :

ـ وماذا عن العمل هنا ؟

قال (إبراهيم) :

ـ اترك لى هذا .

ارتفع فجأة صوت (رفعت كساب) ، يقول فى ضيق :

ـ لن يكون ذلك عسيرا .

التفت إليه الاثنان فى سرعة ، وهب (حسين) واقفا فى احترام ، فأشار إليه (رفعت) بالجلوس مرة اخرى ، وهو يقول :

ـ يبدو انك قد وقعت اخيرا فى الخطإ يا (حسين) .

امتقع وجه (حسين) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ الخطـأ ؟!

جلس (رفعت) خلف مكتب (إبراهيم) ، وزفر فى حرارة ، وهو يضرب سطح المكتب براحته المفتوحة ، ويقول :

ـ لقد تسرعت بتأييد (عبد الناصر) علنا ، قبل أن تتضح الأمور .

لم يدر (حسين) لماذا فشل أسلوبه هذه المرة ..

لقد أيد قيام الثورة علنا ، قبل أن تتضح الامور ، فقادته هذه المبادرة إلى قمة السلطة ..

وعندما كرر اللعبة خسر ..

خسر كثيرا ..

وبحروف مرتجفة ، وقلب مرتعد ، تمتم (حسين) :

ـ وماذا حدث بسبب هذا يا سيدى ؟

زفر (رفعت) مرة اخرى فى حدة ، وقال :

ـ حدث أن (محمد نجيب) قد أصدر قرارا بإبقائك عن العمل .

خيل لـ (حسين) أن قلبه قد توقف عن الخفقان ، وانه سيسقط جثة هامدة ، حتى لقد ادهشه ان هذا لم يحدث ، وهو يتمتم منهارا :

– إيقاف ؟!.. إلى متى ؟!

ربت (رفعت) على كتفه ، وقال فى ضيق :

– من يدرى إلى متى ؟.. هيـا .. اذهب إلى سراى والدك ، كما اقترح (إبراهيم) ، فأظنها افضل خطوة الآن .

وأدرك (حسين) أن لحظات الخسارة قد حانت ..

وأن الدنيا تدير وجهها إليه ..

وطوال الطريق من (القاهرة) إلى قريتـه ، ترك دموعه تسيل على وجنتيه فى صمت ..

كيف يواجه اشقاءه وشقيقاته ، بعد أن فقد كل شىء ؟..

بل كيف يواجه خصومه ؟..

انطلق بسيارته فى بطء ، وكأنما يخشى العودة إلى القرية ،

إلا انه لم يكد يقترب من مدخلهـا ، حتى لمح المـأمور على صهوة جواده ، يشير إليـه بالتوقف ، فأوقف سيارته ، وهو يجفف دموعه فى سرعة ، وقال للمأمور فى صرامة ، بذل جهدا ليمنح صوته إياها :

– ماذا تريد أيها المـأمور ؟

أدهشـه أن قال المـأمور فى غطرسة :

– بل ماذا تريد أنت ؟

ثم مال نحوه مستطردا فى ازدراء :

– إن قريتنا ترفض استقبال الخونة ، فكلنا نؤيد الرئيس الشرعى للبلاد .

وركل المـأمور مقدمة سيارة (حسين) ، ثم ألقى نظرة صارمة على هذا الأخير ، وابتعد بجواده فى خيلاء ..

لحظتها فقط تأكدت الصورة ..

لقد أدارت الدنيا وجهها ..

أدارته بعيدا .

* * *

٣٥ ـ العـــدم..

هب (عمر) من مقعده ، ومال برأسه نحو زوجته ، وبدا وكأنما يطلق زغرودة فرح ، وهو يهتف :

ـ أوقفوه عن العمل ؟!.. هل أوقفوا (حسين) شقيقك عن العمل حقا ؟!

جففت (نعيمة) دموعها ، وهى تقول :

ـ لا يمكنك أن تتصور ما أصابه من جراء هذا .. لقد نحل كثيرا ، و ...

قاطعتها ضحكة مرحة اطلقها (عمر) ، واذهلها أن يكون هذا هو انطباعه عن الموقف ، فحدقت فى وجهه مستنكرة ، فى حين هتف هو :

ـ لقد نال ما يستحقه ، ذلك الظالم المفترى .

صاحت به :

ـ (عمر) !.. كيف تقول هذا عن شقيقى الـ ...؟

قاطعها صارخا فى صرامة هذه المرة :

ـ اخرسى .

حدقت فى وجهه ذاهلة ، فأمسك كتفيها فى عنف ، وبدا لها كوحش شرس ، وهو يهزها فى قوة ، صائحا :

ـ لعنة الله عليك وعلى شقيقك السارق النصاب ، الذى استباح لنفسه أرضكم وأموالكم ، بعد أن منحه والدكم الظالم هذا الحق بعد وفاته .. لقد احتملت كل ما فعله بى ،

ولزمت الصمت طيلة الوقت ، انتظارا لهذا اليوم .. والآن فقط استطيع ان افرغ كل الغضب الكامن فى اعماقى .

ودفعها فى قسوة : مستطردا فى ثورة :

ـ اذهبى .. انت طالق .. طالق .. طالق ..

ولم تحتمل (نعيمة) صدمة الموقف ..

ومن أعماقها انطلقت صرخة ارتياع ..

وسقطت فاقدة الوعى ..

* * *

« طلقك ؟! »

هتف (مفيد) فى ذعر ، قبل ان يستطرد :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا فعل هذا ؟

بكت فى انهيار ، وضمت طفلتها الصغيرة إلى صدرها ، وهى تقول :

ـ يقول إنه يتمنى هذا منذ زمن طويل ، ولكن كان ينتظر خروج (حسين) من السلطة .. وهو لم يكتف بتطليقى فحسب ، وإنما راح يوزع اكواب الشراب على الجميع ، احتفالا بإيقاف (حسين) عن العمل ، وأقسم ان يتزوج باخرى ، قبل ان ينصرم الأسبوع .

تمتم (حسين) فى مرارة :

ـ يا للوغد !!

التفت إليه (مفيد) محنقا ، وهو يقول :

ـ انت المسؤل عن كل هذا .. انت الـ ..

قاطعه (حسين) فى ثورة :

ـ كفى .. لست احتمل حرفا واحدا ..

وابتعد بخطوات سريعة إلى حجرته ، واغلق بابها خلفه فى إحكام ، فزفر (مفيد) فى توتر ، وغمغم :

ـ إنها اللعنة تحل علينا .. لعنة الظلم ..

ظل يشعر بالمرارة فى حلقه وقلبه ، حتى التقى بـ (مديحة) عند جذع الشجرة الكبيرة كعادتهما ، وانتبهت هى إلى آلامه ، فربتت على كفه ، وهمست فى حنان :

ـ امن المحتم ان تحمل دوما كل هموم الدنيا على كتفيك ؟

زفر مغمغما :

ـ كم اتمنى الا افعل ، ولكن يبدو ان هذا قدرى .. ان احمل دوما مشاكل الآخرين .

ترددت لحظة ، ثم سألته فى خفوت :

ـ وماذا عن مشكلتنا نحن ؟

استدار يتطلع إليها طويلا ، حتى ان دماء الخجل قد تصاعدت إلى وجنتيها ، وهى تتمتم :

ـ لم اقصد هذا ، وإنما ..

جاء دوره هذه المرة ليربت على كتفيها ، ويقول فى حنان :

ـ يبدو اننى اظلمك كثيرا معى يا حبيبتى .

رفعت عينيها إليه ، وهى تهمس :

ـ انت لا تظلم ابدا .

تطلع إليها بامتنان ، وامتدت اصابعه تداعب شعرها الأسود الناعم ، قبل ان يقول فى حزم :

ـ لا بأس يا (مديحة) .. لقد انتظرت طويلا ، وساطالبك بالانتظار لآخر مرة ، حتى نهاية اكتوبر القادم ، وعندئذ ساعمل على ان يتم زواجنا ، مهما كانت الظروف والملابسات .

ابتسمت فى سعادة ، وهى تساله فى دلال :

ـ ولماذا اكتوبر ؟

شرد ببصره لحظة ، ثم اجاب :

ـ ساكون قد بلغت الحادية والعشرين حينذاك .

لم تفهم ما الذى يعنيه ذلك ، إلا انها غمغمت فى حب :

ـ حسنا يا حبيبى .. سانتظر .

وكانت مخلصة فى قولها ، ولكن القدر لا يعترف بالإخلاص والحب والعواطف ..

انه القدر ..

وهذا يكفى ..

* * *

لم يدر احد ، ولا حتى (حسين) نفسه ، كيف مرت الأشهر التالية ..

بالذات (حسين) لم يشعر بمرورها ، على الرغم من كونه المصاب الأول فيها .

لقد بدت له أيامه كالعدم ..

وتقوقع فى حجرته ، مبتعدا عن اسرته ، ومشاكلها وحتى افراحها ..

وترك امواج الحياة تحمله إلى اى شاطىء تشاء ..

وراح يجتر مرارته واحزانه لما اصابه ، والحياة من حوله تمضى بلا توقف ..

لقد تزوج (عمر) ، من فتاة جميلة ، ابنة عمدة قرية مجاورة ، واقام لها حفل زفاف رائع ، تحدثت عنه المنطقة كلها ، وبدا هو خلاله اشبه بالسعادة نفسها ، وإن حملت عيناه شماتة لا حصر لها ..

وانهارت (نعيمة) ليلة زواجه ، وفاضت عيناها بدموع القهر ، وهى التى ظلت تحمل فى قلبها الكثير من الحب لزوجها السابق ، والكثير من الأمل لعودتها إليه ..

والطريف أن (عمر) قد أرسل دعوة زفاف انيقة إلى سراى (البنهاوى) يدعو فيها الأسرة كلها لحضور حفل زفافه ، وكأنما يتشفى فيما أصاب (حسين) علانية ..

وراح شعور (حسين) بالمرارة والغضب والحنق يتضاعف ..

وراحت بطن (فاطمة) تتكور وتبرز ، معلنة قرب قدوم الضيف الجديد ، ابن (حافظ) ، وحفيد (البنهاوى) ..

ونافستها بطن (ناهد) ، فيما راحت (شريفة) تراقب هذه المنافسة فى مرارة والم ، وعبارة (فاطمة) تتردد فى اذنيها ، مذكرة إياها أنها لم تتزوج بعد ..

وبدا لها الزواج أملا بعيد المنال ..

وخاصة بعد أن فقد (حسين) بريق السلطة وزهوها ..

اما (مديحة) ، فقد انصاعت لمطلب (مفيد) ، واكتفت بوعده لها ، وباتت تحلم باقتراب نهاية أكتوبر ؛ لتلتقى بمن وهبته قلبها وحبها ..

والتحق (مفيد) بكلية التجارة فى (القاهرة) ، وفقدت (فاطمة) بابتعاده الصوت الوحيد الذى يرتفع للذود عنها وحمايتها من لسان (شريفة) ، الذى انتهز بدوره فرصة إقامة (مفيد) فى (القاهرة) ، لينهال على (فاطمة) بكل ما تعافه النفس من شر الألفاظ والنعوت ، مفرغة فى سلاطتها ما تجيش به نفسها من إحباط ومرارة وغيرة وحقد ..

ولم يعد (حسين) يعلم شيئا عن (رفعت كساب) أو رجال الثورة ..

الخبر الوحيد الذى بلغه هو أمر (إبراهيم مكى) قد استولى على تلك الشقة الفاخرة ، التى كان يقيم فيها هو فى (جاردن سيتى) ، وأنه قد انتزع اللافتة الأنيقة ، التى تحمل اسم (حسين البنهاوى) ، ووضع بدلا منها لافتة تحمل اسمه هو ..

ولهذا الخبر بالذات بكى (حسين) طويلا فى حجرته ..

لقد انتزع منه الخبر آخر أمل فى العودة إلى السلطة والقوة ، فاحتلال (إبراهيم مكى) لشقته يعنى أن (رفعت كساب) قد تخلى عنه ..

وان الزمن قد اولاه ظهره تماما ..

وبينما كان غارقا فى آلامه وافكاره ودموعه ، انطلقت فى السراى صرخة قوية ..

ولاول مرة منـذ زمن طويل ، لم تكن صرخة حـزن او موت ..

كانت صرخة فاطمة ، التى اعلن رحمها تاهبه للفظ جنينها إلى الدنيا ..

كانت صرخة ميلاد ..

* * *

انتزعت الصرخة (حسين) من فراشه ..

بل من نفسه ، بكل احزانها وآلامها ومرارتها ..

انتزعته المعجزة الربانية ، التى تحدث كل يوم من حولنا ، دون أن نشعر بعظمتها وقيمتها وإعجازها ..

معجزة الميلاد ..

وكأنمـا القى الأشهر الاخيرة كلهـا خلف ظهره ، انطلق (حسين) من حجرته ، وراح يعدو هابطا إلى حجرة (حافظ) و (فاطمة) ، فى الطابق السفلى ، واستقبلته (شريفة) ، وهى تعدو خارج حجرة (حافظ) ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟

تعالى من داخل الحجرة صراخ (فاطمة) ، و (شريفة) تقول فى اضطراب :

ـ إنها (فاطمة) .. يبدو أن جنينها سيأتى إلى الحياة ، قبل خمسـة عشر يوما من موعده ..

سألها مرتبكا :

ـ وماذا ينبغى ان نفعل ؟

صاحت وهى تعدو نحو باب السراى :

ـ لا شىء .. سارسل (عبد الحميد) ؛ لإحضار القابلة .

فتحت باب السراى ، وراحت تهتف :

ـ (عبد الحميد) .. (عبد الحميد) .

اسرع إليها الرجل متوترا ، ولم يكد صراخ ابنتـه يبلغ مسامعه ، حتى فهم الموقف كله على الفور ، وخفق قلبه بين ضلوعه ، وشحب وجهه فى شـدة ، فى حين صـاحت به (شريفة) فى اضطراب شديد :

ـ استدع القابلة (الداية) يا (عبد الحميد) .. ابنتك تـلد .

ازداد شحوب وجه الرجل ، وبدا وكأنه سينفجر باكيا ، وهو يقول :

ـ ولكن القابلة (أم سرحان) ليست هنا .. لقد سافرت إلى ابنها فى (طنطا) .

صاحت فى ذعر :

ـ استدع طبيب الوحدة الصحية إذن .

كاد (عبد الحميد) يسقط فاقد الوعى ، وهو يقول فى انهيار :

ـ الطبيب لا يقيم بالوحدة الصحية .. إنه احد ابنـاء (سمنود) ، وهو يسافر إليها كل مساء ، و ...

قاطعه (حسين) فى انفعال :

ـ لا بأس .. ساستدعى احد اطباء المدينة هاتفيا .

انطلق نحو الهاتف ، و (عبد الحميد) يحدق فيه ذاهلا ؛ فلم يكن المسكين يتخيل يوما ان يهرع ضابط مهيب مثل (حسين البنهاوى) ، لإسعاف ابنته هو ..

ولم يكد (حسين) يضع سماعة الهاتف على أذنه ، حتى عقد حاجبيه ، وصاح فى توتر :

ـ الهاتف اللعين لا يعمل .

والقى السماعة فوق الهاتف ، وهو يلتفت إلى (عبد الحميد) ، ويسأله :

ـ اين يمكننى ان اجد هاتفا آخر ؟

تردد (عبد الحميد) لحظة ، ثم قال :

ـ عند العمدة .

أجاب (حسين) فى حزم :

ـ ساذهب إليه .

التقى فى اثناء عدوه نحو الباب بـ (نعيمة) ، التى ايقظها صراخ (فاطمة) ، وارتباك الآخرين ، فسألته حائرة قلقة :

ـ ماذا هناك ؟

هتف بها وهو يغادر السراى :

ـ (فاطمة) تلد .

ضربت صدرها بكفها ، وهى تهتف فى استنكار :

ـ تلد ؟!

نطقتها وكأنها لا تتصور أن تلد (فاطمة) ؛ على الرغم من حملها ..

لم تكن تتصور ان يكون لشقيقها ابن من تلك الغليظة ، ابنة (عبد الحميد) ..

ولكن (حسين) لم يكن يفكر فى هذا ..

لقد استقل سيارته ، وانطلق بها نحو دار العمدة ، وهو يدعو الله ان تعبر (فاطمة) وابنها هذا الموقف فى سلام ، ولم يكد يبلغ الدار ، حتى أوقف سيارته ، وقفز منها ، وراح يدق باب العمدة فى توتر ، حتى فتح العمدة بابه ، وقال فى حدة :

ـ ماذا هناك ؟

هتف به (حسين) فى لهفة :

ـ (فاطمة) تلد يا عمدة ، ونحتاج إلى هاتفك ، لـ ...

قاطعه العمدة فى صرامة :

ـ آسف .

حدق (حسين) فى وجهه بدهشة ، وقال محنقا :

ـ ماذا تقول يا عمدة ؟ إننا نحتاج إلى الهاتف ؛ لاستدعاء طبيب ، و ...

قاطعه العمدة مرة اخرى :

ـ قلت آسف .

تراجع (حسين) فى ذهول ، فى حين استطرد العمدة فى لهجة لم تخل من الشماتة :

ـ هذا الهاتف حكومى يا بن (البنهاوى) ، ولا يصح استخدامه إلا بوساطة رجال الحكومة ، او من يؤيدونهم ، والحكومة يراسها رجل نحترمه جميعا ، وندين له بالولاء .. اسمه (محمد نجيب) .

ثم مال نحو (حسين) ، مستطردا فى سخرية :

ـ هل تعرفه ؟

انعقد حاجبا (حسين) فى غضب ، وقال :

ـ ستدفع ثمن هذا يا عمدة .

قال المدة فى سخرية اشد :

ـ نقدا ام بالتقسيط المريح ؟!

وانطلق يقهقه ضاحكا فى سخرية وشماتة ، فى حين انطلق (حسين) نحو سيارته ، وادار محركها ؛ ليبتعد عن المكان باقصى سرعة ، وضحكات العمدة تلاحقه ، وتنكأ جراحه ، وتسيل دماء كرامته الجريحة ..

وبكل ما يملأ نفسه من غضب ومرارة صرخ :

ـ ستدفع الثمن يا عمدة .. ستدفع الثمن .

وردد ليل القرية كلها صدى صرخته ووعيده ..

* * *

٢٦ ـ استدعاء ..

هبط (مفيد) من السيارة ، التى اقلته حتى باب السراى ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يتطلع إلى المكان الذى شهد طفولته وصباه وشبابه ، واغلق عينيه وهو يملأ صدره بشهيق عميق من الهواء ..

هواء القرية النقى ..

هواء الأرض التى يعشقها ..

ثم فتح عينيه ؛ ليجول ببصره فى الحقول ، ومنازل صغار الفلاحين ، المنتشرة بينها وحولها ..

وتوقفت عيناه طويلا عند الشجرة الكبيرة ..

وخفق قلبه فى حنان وحب ..

إنها المكان الذى شهد حبه وذكريات قلبه النابض ..

وطافت صورة (مديحة) بذهنه ، فاكتست ابتسامته بهيام وود ، جعلاه يغمغم :

ـ كم اشتاق إليك يا حبيبتى !!

ثم صعد فى درجات سلم السراى ، وهو يتوقع ان يفاجىء الجميع بعودته من (القاهرة) فى هذه الساعة المبكرة ..

ولكن المفاجأة كانت من نصيبه هو ..

لقد كان كل من فى السراى مستيقظا ..

حتى (حسين) ..

وكان الإرهاق يملأ وجوههم ، حتى انه هتف بهم منزعجا :

ـ ماذا اصابكم ؟.. ماذا حدث هنا ؟

ابتسم (حسين) ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ خيرا .. لقد انجبت (فاطمة) فجر اليوم .

هتف فى فرح :

ـ انجبت ؟!.. يا له من خبر !.. كيف حالها وحال طفلها او طفلتها ؟.. اذكر هو ام انثى ؟

اجابته (شريفة) ، فى صوت لم يخف غيرتها :

ـ إنها بخير .. هكذا تكون تلك الفئة الوضيعة من القوم .. إنهم ينجبون كالأرانب ، دون تعب او متاعب .

رمقها بنظرة عتاب ، وهو يكرر سؤاله الثانى :

ـ اطفلا انجبت ام طفلة ؟

أجابه (حسين) هذه المرة :

ـ انجبت طفلا .. ذكرا .. ولقد طلبت منها ان تطلق عليه اسم والدنا ، ولكن (شريفة) ترفض فى شدة .

التفت إلى (شريفة) ، يسألها فى دهشة :

ـ لماذا ترفضين ؟

اجابته فى حدة :

ـ لن يحمل ابن (فاطمة عبد الحميد) اسم والدنا الراحل .. ابدا .

ابتسم (مفيد) فى إشفاق ، وهو يغمغم :

ـ إنه سيحمل اسمه على اية حال .

ثم زفر فى قوة ، مستطردا :

ـ فليكن .. سنمنحه اسما جديدا .. ما رايكم فى (طارق) مثلا ؟

قال (حسين) :

ـ (طارق البنهاوى) .. لا باس .. إنه اسم طريف .

ثم اشار إلى (مفيد) بالجلوس إلى جواره ، وهو يسأله :

ـ ولكن ما سر عودتك المفاجئة هذه ؟.. هل نفدت نقودك ؟

ابتسم (مفيد) ، وقال :

ـ لا.. ولكن اليوم يوافق عيد مولدى ، الذى سيشاركنى فيه (طارق) .

هتفت (شريفة) :

ـ يا إلهى !.. كيف نسيت هذا ؟.. إنك ستتم واحدا وعشرين عاما اليوم يا (مفيد) .. اليس كذلك ؟.. إنه الخامس والعشرون من اكتوبر ..

اومأ (مفيد) برأسه إيجابا ، وهو يبتسم ، ثم التفت إلى (حسين) ، الذى ابتسم بدوره ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ هذا يعنى انك قد أصبحت راشدا .

قال (مفيد) فى مرح :

ـ بالطبع .

ثم مال نحو شقيقه ، واكتست ملامحه بجدية مباغتة ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يشجعنى على أن أطلب منك الموافقة على امر هـام .

سأله (حسين) فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

مال على أذنه ، مجيبا فى همس :

ـ زواجى .

تراجع (حسين) فى دهشة ، وحـدق فى وجه شقيقه لحظة ، ثم نهض قائلا فى حزم :

ـ تعال .

تبعه (مفيد) إلى حجرته ، و (شريفة) تتابعهما ببصرها فى لهفة ، والفضـول يقتلهـا لمعرفة حديثهما ، حتى أغلق (حسين) الباب خلفهما ، والتفت يتطلع إلى (مفيـد) ، قائلا :

ـ إذن فأنت تريد أن تتزوج !

أو ما (مفيَـد) برأسه إيجابا ، فمـال (حسين) نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ أهى واحدة من فتيات (القاهرة) ؟

أجابه (مفيد) ، ووجهه يتهلل بشرا :

ـ لا .. إنها واحدة من هنا .. (مديحة) .. ابنة عم (إسماعيل) .

تراجع (حسين) فى حركة حادة عنيفة ، وهتف فى قوة كالمصعوق :

ـ (مديحة) ؟

ثم هتف محنقا :

ـ هل تريد الزواج من ابنة عامل فى أرضنا ؟

كان (مفيد) مستعدا لذلك التراشق الكلامى ؛ لذا فقد قال فى سرعة :

ـ وماذا فى هـذا ؟.. (فاطمـة) أيضا ابنـة عامل فى أرضنا .

قال (حسين) فى غضب :

ـ لا ينبغى أن نكرر الخطأ نفسه مرتين .

صاح (مفيد) :

ـ أى خطـأ ؟

هم (حسين) بإلقاء الجواب ، لولا ان ارتفعت بغتة طرقات قوية على باب الحجرة ، مصحوبة بصوت (نعيمة) ، تقول فى توتر :

ـ هناك رجلان يطلبان مقابلتك يا (حسين) .

خفق قلب (حسين) فى قوة ، وهو يسألها :

ـ اهما من الجيش ؟

اجابته فى قلق واضح :

ـ لست ادرى .. إنهما يرتديان ثيابا مدنية ، ولم ار احدهما من قبل .

عقد حاجبيه فى توتر ، ولم يستطع كتمان اضطرابه ، وهو يلتفت إلى (مفيد) ، قائلا :

ـ حسنا .. سنتم حديثنا فيما بعد .

أراد (مفيد) أن يعترض ، ولكن (حسين) لم يمنحه الفرصة لذلك ، فقد اندفع يغادر الحجرة فى توتر ، فلم يكن من (مفيد) إلا ان قلب كفيه ، وزفر فى قوة ، مغمغما :

ـ لا بأس .. إن غدا لناظره قريب .

وكانت الحكمة صحيحة ..

لو أتى الغد ..

* * *

صافح (حسين) الرجلين ، اللذين لم يرهما فى حياته كلها ، وقال احدهما فى هدوء ، وهو يشد على يد (حسين) :

ـ الملازم (حسين البنهاوى) .. اليس كذلك ؟

غمغم (حسين) فى حيرة وتوتر :

ـ بلى .. هو أنا .

قال الآخر فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكن لدينا اوامر بان نصحبك إلى حيث تستقبلك شخصية هامة .

هبط قلبه بين ضلوعه ، وهو يقول :

ـ شخصية هامة ؟! من ؟

قال الأول فى حزم :

ـ ستعلم فيما بعد .. والآن هيا بنا .

ارتبك (حسين) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل .. هل سنتغيب كثيرا ؟.. أعنى .. هل أعد حقيبتى ؟

اجابه الآخر :

ـ لا داعى .. ستجد كل ما يلزمك لدينا .

وقال الأول فى لهجة لا تقبل النقاش :

ـ دعنا لا نضيع الوقت يا سيدى ، فالأوامر تقتضى الا نضيع لحظة واحدة .. هيا بنا .

قال وقد ساد الشحوب وجهه تماما :

ـ سأبلغ شقيقى إذن .

قال الثانى فى حزم :

ـ سنبلغه نحن .

قاداه من حجرة استقبال الضيوف إلى باب السراى ، وهو يتبعهما عاجزا مستسلما ، لا يجرؤ على التفوه بحرف واحد ..

وكانت هناك سيارة تنتظر أمام باب السراى ، وبداخلها سائق واحد ، لم يكد يطمئن إلى ركوب (حسين) والرجلين ، حتى انطلق بالسيارة على الفور ..

وانكمش (حسين) فى مقعده ، وقد بلغ به الرعب مبلغه ..

إنهم يعتقلونه ولا شك ..

إنه خبير بمثل هذه الأمور ..

وخبير بما يحدث بعد الاعتقال ..

وارتجف جسده فى شدة ..

ولم يجرؤ على إلقاء سؤال واحد على الرجلين ..

وكان يعلم انه ما من جدوى من إلقائه ..

لن يجيب احدهما بحرف واحد ..

إنها مهنتهما ..

وهو ادرى الناس بها ..

وانطلقت به السيارة فى طريقها إلى (القاهرة) ، ومع كل كيلومتر تقطعه كان يزداد انكماشا وشحوبا ..

وراح عقله يستنتج الأمور ، والنتائج ، ولكنه عجز عن استنتاج شخصية هذا المسئول الكبير ..

أهو (رفعت كساب) ؟..

أم (إبراهيم مكى) ؟..

جال بخاطره لحظة أن يكون (محمد نجيب) نفسه ، إلا

انه لم يلبث أن استبعد هذا الخاطر ، لمرور ثمانية أشهر كاملة على إقالته ..

وما هى إلا ساعة وبضع دقائق ، حتى توقفت السيارة أمام منزل صغير ، فى حى (مصر الجديدة) ، وهبط منها الرجلان ، ليقول احدهما :

ـ تفضل يا (حسين) بك .

لم يدر سر لقب البكاوية هذا ، الذى منحه إياه الرجل جزافا !..

أهو نوع من الاحترام الزائد ؟

أم هى سخرية ؟..

او شماتة ؟..

وسار بين الرجلين وجسده كله ينتفض ، نحو ذلك المنزل الصغير ، الذى يقودانه إليه ..

وداخل المنزل ، اصطحبه أحد الرجلين إلى حجرة مكتب أنيقة ، وقال فى هدوء :

ـ معذرة .. سيحضر السيد بعد قليل .

لم يجرؤ (حسين) حتى على الجلوس ، وراح يرتجف وسط تلك الحجرة الأنيقة ، التى احتشدت مكتبتها بعشرات الكتب ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت باب الحجرة يفتح من خلفه ، ثم يغلق فى هدوء ..

وبجسد شملته رعدة باردة قوية ، استدار (حسين) يتطلع إلى الداخل ..

وكقط مبتل فى يوم عاصف بارد ، انتفض جسـده كله انتفاضة عنيفة قوية ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه ذلك الشاب الطويل ، العريض المنكبين ، الذى راح يتطلع إليه فى هدوء تام ، بعينين شبيهتين بعينى أسد ..

كان آخر شخص يتوقع رؤيته ..

كان (جمال) ..

(جمال عبد الناصر) نفسه ..

البقية فى العدد القادم

من

كوكتيـــــل ٢٠٠٠

العبقرى ..

(قصة قصيرة)

« ما الحل المنطقى أيها العبقرى ؟.. »

القى عليه الجالس إلى جواره هـذا السؤال ، فالتفت يتطلع إليه فى هدوء ، ثم عاد يملأ عينيه بذلك المكان ، الذى يجلسان فيه ..

لم يكن المكان عاديا ..

كان مساحة بالغة الضخامة ، اشبه بصحراء صفراء منبسطة ، بلا نتوءات أو انخفاضات ، وفى نهايتها كانت هناك بنايات شاهقة ، وحركة دائبة لملايين البشر ، الذين يمكنه تمييزهم فى صعوبة بالغة ..

ولكن .. هو نفسه ليس بالرجل العادى ..

إنه أشهر رجل تحريات فى العالم أجمع ..

وهو أكثرهم عبقرية ، فى فن الاستنتاج ، حتى انه يفوق (شيرلوك هولمز) نفسه ، البوليس السرى الأشهر ..

ومرة أخرى راح يفحص المكان حوله ، فسأله الجالس إلى جواره فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ ألم تتوصل بعد إلى معرفة ما يحدث حولك ؟

بدا له الصوت مألوفا هذه المرة ، فالتفت إلى الجالس ، وادهشه انه زميل حجرته ، الذى ينافسه منذ عملهما معا فى هذا المجال ، وتساءل فى حيرة : كيف لم ينتبه إلى هذا منذ البداية ؟ ولكنه قال فى عناد :

ـ سأتوصل إلى الحل حتما .

نهض زميله ، قائلا :

ـ ستجدنى إذن فى مكتبى .

تركه واتجه إلى مبنى خلفهما ، لم ينتبه إليه هو إلا فى هذه اللحظة أيضا ..

والعجيب انه كان يشبه حجرتهما فى إدارة الأمن ..

وبكل العناد فى أعماقه ، غمغم هو :

ـ هناك تفسير حتما لكل هذا .

نهض يدير عينيه فيما حوله ، ويشحذ عقله وحواسه للبحث عن الاستنتاج المناسب ، حتى عاد إليه زميله ، وسأله فى شماتة :

ـ هل توصلت إلى شىء ؟

أجابه فى اعتزاز :

ـ الوصـول إلى الاستنتاجات الصحيحة يحتـاج إلى معلومات .. فينبغى ان أعرف أولا اسم هذه المدينة هناك .

قال زميله فى سخرية :

ـ أية مدينة ؟

التفت إلى حيث البنايات الشاهقة ، ثم عقد حاجبيه فى دهشـة ، فلم تكن هناك بنايات ، ولم يكن هناك بشر ..

كانت هناك واحة ضخمة من النخيل ..

وفى نبرة أشد سخرية ، قال زميله :

ـ ما الحل أيها العبقرى ؟

صمت لحظات ، ثم قال :

ـ الأمر ليس عسيرا كما تتصور .. لقد ظهرت أشياء ، واختفت ، وظهرنا نحن فى مشهد واحد ، وفى مكان يصعب وجوده فى عالم الواقع ، كما انه من المستحيل أن ينتقل مكتبنا إلى هنا أيضا .

ساله زميله فى اهتمام :

ـ وما الذى يعنيه كل هذا ؟

رفع العبقرى سبابته أمام وجهه ، وقال :

ـ يعنى ان كل هذا .. انا ، وانت ، والصحراء ، والمدينة ، والواحة ، والمكتب .. كلنا لسنا فى عالم الواقع ، وإنما كل هذا مجرد حلم .. حلم عادى ..

واستيقظ من نومه ..

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

قصة العدد

تحقيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ فكرة جديدة ..

« آنسة سامية) .. »

ارتطمت العبارة بأذنيها ، وهى تتسلل على أطراف أصابعها ، محاولة بلوغ حجرة التحرير ، دون أن يشعر رئيس التحرير بقدومها ، فتسمرت فى مكانها لحظة ، وزفرت فى استسلام ، ثم التفتت بجسمها كله إلى رئيس التحرير ، وهى تبذل اقصى جهدها ؛ لترسم على شفتيها ابتسامة عذبة ، وهى تقول :

ـ صباح الخير يا أستاذ (حامد) .. لم اتوقع وجودك فى هذه الساعة المبكرة .

عقد رئيس التحرير حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ مبكرة ؟!.. إنها الحادية عشرة يا آنسة (سامية) ، وما من صحفظ نشط يصل إلى المجلة التى يعمل بها ، فى مثل هذه الساعة .

حافظت على ابتسامتها فى صعوبة ، وهى تقول فى مرح مفتعل :

ـ وماذا عن الصحفى الكسول ؟

رمقها بنظرة صارمة ، تلاشت لها ابتسامتها ، وهو يقول :

ـ اظنك خير من يجيب عن هذا السؤال ، فلم يمر بمكتبى تحقيق واحد يحمل توقيعك ، منذ شهرين كاملين .

حاولت أن تستعيد ابتسامتها ، وهى تلوح بسبابتها أمام وجهها ، قائلة :

ـ العبرة ليست بكثرة الموضوعات والتحقيقات ، وإنما بجودتها ، و ...

قاطعها بصوت هادر :

ـ عظيم .. إنك تستعيرين كلماتى على نحو رائع ، ولكن ما رأيك فى العمل هنا بالقطعة ، بدلا من الحصول على راتب شهرى دون عمل ؟

ازدردت لعابها ، وهى تقول :

ـ لست أظن هذا النظام يصلح لى .

بدا الغضب واضحا فى ملامحه ، فاستدركت فى سرعة :

ـ ثم إننى أستعد لفكرة جديدة .

كانت استدراكتها ناجحة ، فلقد اندفع الفضول إلى رأس رئيس التحرير ، مزيحا كل الغضب أمامه ، وهو يسألها فى اهتمام :

ـ أية فكرة ؟

باغتها السؤالُ ، فارتبكت وهى تجيب :

ـ كنت أفضل الاحتفاظ بها سرا ، و ...

قاطعتها صيحته الغاضبة :

ـ سرا ؟!

تضاعف ارتباكها ، واختلط بشيء من الضيق فى أعماقها ، عندما وقع بصرها على وجه زميلها (ايمن) ، من خلف كتف رئيس التحرير ، وهو يبتسم ، وكأنما يروق له ارتباكها ، فاعتدلت فى حزم ، وهى تقول :

ـ الواقع انه تحقيق مع شخصية عادية .

بدت الدهشة على وجهى رئيس التحرير و (ايمن) ، وهتف الأول فى حيرة :

ـ شخصية عادية ؟!.. ماذا يعنى هذا ؟

اجابته فى حماس مباغت :

ـ إنها فكرة جديدة للغاية .. إننا لن نجرى تحقيقا حول احد الشخصيات الشهيرة فى المجتمع ، ولا حول سياسى كبير ، وإنما سنجرى التحقيق حول شخصية عادية للغاية ، يتم اختيارها عشوائيا من دليل الهاتف ، وسنسعى للالتقاء بهذه الشخصية ، والبحث عن هموم ومشاكل المواطن العادى .

بدا من ارتفاع حاجبى رئيس التحرير ان الفكرة قد راقت له بالفعل ، مما دفع (سامية) إلى أن تستطرد بمزيد من الحماس :

ـ تصور يا سيدى ما ستفعله سلسلة تحقيقات كهذه فى المجتمع ، عندما يحلم كل شخص فيه بأن يكون هو تلك الشخصية العادية ، التى تلتقى بها الصحافة .. إنها فكرة جديدة بكل المقاييس يا سيدى .

ازداد ارتفاع حاجبى رئيس التحرير ، وراح يومىء

براسه فى اهتمام وإعجاب ، ثم لم يلبث الشك ان تسلل إلى نفسه وملامحه ، وهو يقول :

ـ اخبرينى بكل امانة .. هل كانت هذه الفكرة معدة مسبقا ، أم انها وليدة اللحظة ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى تراجع (ايمن) خطوتين إلى الخلف ، وهتف :

ـ آنسة (سامية) .. كيف حالك ؟.. لقد درست فكرتك امس ، ووجدتها رائعة .

التفت إليه رئيس التحرير فى دهشة ، فاستطرد (ايمن) مفتعلا الحماس :

ـ هل اخبرتك الآنسة (سامية) بفكرة ذلك التحقيق يا سيدى ؟.. إنها فكرة رائعة .. ستلتقى بمواطن عادى عشوائيا ، و ...

قاطعه رئيس التحرير فى صرامة :

ـ لقد اخبرتنى الآن .. ولكن متى اخبرتك انت ؟

اجابه (ايمن) فى بساطة :

ـ امس الأول يا سيدى .

انعقد حاجبا رئيس التحرير مرة اخرى ، وهو يقول فى حدة :

ـ كيف هذا ؟.. كيف يعلم محرر فى المجلة فكرة تحقيق جديد ، قبل أن يعلمه رئيس التحرير نفسه ؟

ارتبكت (سامية) ، فى حين اجابه (ايمن) فى سرعة وتلقائية :

ـ لقد كانت تطلب تعاونى يا سيدى .

سأله فى دهشة :

ـ تعاونك ؟!.. لمـاذا ؟

اجابه مبتسما :

ـ من الخطر أن تذهب فتاة وحيدة إلى عنوان اختارته عشوائيا من دليل الهاتف .

مط رئيس التحرير شفتيه ، وهو يهز راسه موافقـا ، قائلا :

ـ هذا صحيح !

ثم التفت إلى (سامية) ، التى بدا الضيق على ملامحها ، وقال فى حماس :

ـ هيا إذن .. ما الداعى للانتظار ؟

واندفع إلى داخل مكتبه ، والتقط دليل الهاتف ، وفتحه عشوائيا ، وهو يقول :

ـ سنبدأ هنا .. بآخر اسم فى الصفحة اليسرى .

هبط بسبابته إلى الصفحة اليسرى ، وقرأ :

ـ المهندس (سليمان صابر) .. اسم مناسب لصاحب التحقيق الأول .. وها هو ذا العنوان .

التقط ورقة بيضـاء ، وخط عليهـا العنـوان فى سرعة وحماس ، وناوله إلى (أيمن) مستطردا :

ـ هيا .. إننى فى غاية الشوق لرؤية التحقيق الأول .

تناول (أيمن) العنوان ، وابتسم وهو يقول :

ـ ستراه قريبا يا سيدى .

والتفت إلى (سامية) ، مستطردا بابتسامة ضاحكة :

ـ أليس كذلك ؟

قطبت حاجبيها ، وهى تقول فى حنق :

ـ من يدرى ؟

نعم .. من يدرى ؟

* * *

انطلقت سيارة (أيمن) الصغيرة تصعد ذلك الطريق المواجه لقلعة (صلاح الدين الأيوبى) ، فى طريقها إلى المقطم ، حيث يعيش المهندس (سليمان) ، وابتسم (أيمن) داخلها ، وهو يختلس النظر إلى (سامية) ، قائلا :

ـ ألن نتبادل كلمة واحدة ؟

مطت شفتيها ، وهى تغوص اكثر فى مقعدها ، وتضرب أرضية السيارة بكعب حذائها الرفيع فى غضب ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ ما الذى يغضبك هكذا ؟

قالت فى حدة :

ـ لقد سرقت فكرتى .

رفع حاجبيه هاتفا :

ـ فكرتك ؟!

ثم انفجر ضاحكا ، قبل أن يستطرد :

ـ هل صدقت نفسك ؟.. إنهـا فكرة عشوائية ، على الرغم من نجاحها ، ولقد حاولت تأييد كذبتك ، امام رئيس التحرير ، واسئلته هى التى قادتنا إلى هذا الوضع .

هتفت محنقة :

ـ هذا لا يمنع أنك قد سرقت فكرتى .

قال فى بساطة :

ـ وهل يمنع زواجى منك ؟

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ هل ستعود إلى هذا الحديث ؟

هز كتفيه ، قائلا :

ـ ولم لا ؟.. إننى احبك منذ زمن ، وما زلت اتمنى الزواج منك .

اعتدلت فى مقعدها ، وغمغمت :

ـ ولكننى لا ارغب فى الزواج .

ـ لماذا ؟

ـ ما زلت أصغر من أن أفعل .

ـ إنك فى الرابعة والعشرين .

ـ هل يعنى ذلك اننى قد أصبحت عجوزا ؟

ـ ليس بعد ، ولكننى أخشى أن يفاجئك هذا ، قبل أن تتخذى قرارك بالزواج .

ـ ربما .. هذا لا يمنعك من أن تتزوج بأخرى .

ـ لا بأس .. الديك شقيقة توءم ؟

التفتت تتطلع إلى ابتسامته المرحة ، وتسللت ابتسامة إلى وجهها المخضب بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ هل تميل دوما إلى المرح ؟

ابتسم فى حنان ، وهو يجيب :

ـ فى حضرتك فقط .

خيل إليها لحظة أن قلبها سيذوب مع ابتسامته وحنانه ، إلا انها لم تلبث ان انتزعت نفسها من بحر المشاعر هذا ، وهى تتنحنح قائلة :

ـ الم نصل بعد ؟

لم يبد عليه ادنى ضيق لفرارها من حديث الزواج ، وكأنما اعتاد هذا ، واجاب فى هدوء :

ـ لقد اقتربنا ، فمن سوء حظنا أن أول شخص يقع عليه اختيار رئيس التحرير ، يقيم فى منطقة شبه منعزلة ، فى قمة (المقطم) ..

قاد السيارة فى صمت لدقيقتين ، حتى عبر المنطقة الماهولة بالسكان ، ثم أشار إلى ڤيلا صغيرة ، تستقر وحدها فوق قمة المقطم ، بعيدة عن المناطق السكانية الأخرى ، وقال :

ـ ها هى ذى الڤيلا .

تمتمت وهو يوقف سيارته إلى جوار الڤيلا :

ـ اتعشم ان نجد ذلك المهندس هنا .

اجابها وهو يغادر السيارة :

ـ إنه هنا .. ها هو ذا يدفع شيئا ، داخل (جراج) سيارته .

اتجه فى خطوات واسعة إلى حيث المهندس (سليمان) ، وتبعته (سامية) فى خطوات أقرب إلى العدو ، حتى صارا خلف المهندس تماما ، فقال (أيمن) :

ـ أأنت المهندس (سليمان صابر) ؟

اعتدل الرجل بغتة ، وكأنما فاجأه الصوت ، واستدار إليهما فى حركة حادة عنيفة ، واصطدمت نظراته الصارمة القاسية بعيونهما ..

وفجأة سرت فى جسد (سامية) قشعريرة باردة مخيفة ..

وانطلقت من حلقها شهقة ..

شهقة رعب ..

* * *

٢ ـ صـــورة ..

لم تكد تلك الشهقة تنطلق من حلق (سامية) ، حتى تحفزت كل عضلة من عضلات جسد (أيمن) ، وتأهبت للذود عن محبوبته ، إلا أن كل هذا لم يلبث أن ضاع وسط دهشته ، وهو يتطلع إلى وجه المهندس (سليمان) ..

لقد كان الرجل يبدو محتدا ، غاضبا ، إلا انه ـ وبخلاف هذا ـ لم يكن يحمل اى شىء يدفع صحفية متمرسة مثل (سامية) ، لإطلاق شهقة رعب كهذه ..

وفى حيرة ، التفت إلى (سامية) ، يسألها :

ـ ماذا هناك ؟

بدا له وجهها شاحبا ، غائما ، يموج بالرعب والفزع ، وهى تتطلع إلى وجه المهندس (سليمان) ، وتتمتم فى اضطراب :

ـ لقد خيل إلى لحظة انه .. انه ..

تلعثمت ، واختنقت الكلمات فى حلقها ، فسألها (أيمن) فى قلق :

ـ انه ماذا ؟

وهنا قال المهندس (سليمان) فى حدة :

ـ من انتما ؟ وماذا تريدان ؟

بقيت (سامية) صامتة ، تتطلع إليه فى خوف واضح ، فى حين ازدرد (أيمن) لعابه ، وأجابه :

ـ إننا صحفيان من مجلة (.....) ، ولقد اخترناك عشوائيا ، من دليل الهاتف ، لنجرى معك تحقيقا ، حول هموم ومتاعب المواطن العادى ، و ...

قاطعه (سليمان) فى خشونة :

ـ ليس لدى وقت لمثل هذا الهراء .

ازدردت (سامية) لعابها بدورها ، وكأنما تحاول استرداد جأشها ، وقالت :

ـ إنه ليس مجرد هراء يا سيد (سليمان) .. إنه نوع جديد من التحقيقات ، و ...

قاطعها على نحو اكثر خشونة :

ـ ابحثا عن غيرى ، فلدى الكثير من العمل .

تطلعت إليه فى حيرة ، فلم يكن من المألوف لديها أن يرفض اى شخص إجراء حوار صحفى ، تنشره مجلة معروفة ..

وفى اهتمام ، راحت تدرس ملامحه ..

كان حليق الوجه ، فى منتصف الأربعينات من العمر ، له شعر اسود ناعم فاحم ، وفودان وخطهما الشيب ..

ولدهشتها بدا لها وسيما على نحو ما ، حتى أنها تساءلت فى اعماقها عما اصابها بالرعب منه هكذا ..

وفى إصرار ، قالت :

ـ لن نضيع وقتك كثيرا يا استاذ (سليمان) .. إنك تقيم هنا فى (المقطم) ، ولا ريب ان لديك بعض المشكلات ، حتى ولو تعلق ذلك بالمياه والإنارة ، و ...

لوح بكفه فى حدة ، وهو يقول :

ـ لا .. لا مشكلات .

أشار (ايمن) إلى الصندوق الخشبى ، الذى كان (سليمان) يدفعه أمامه ، وقال :

ـ وماذا عن هذا الصندوق ؟.. الا يمثل دفعه داخل (الجراج) مشكلة ؟!

انقلبت سحنة (سليمان) بغتة ، وبدا اشبه بوحش شرس ، وهو يقول فى حدة :

ـ دعك من هذا الصندوق .

ثم استدار يضغط دائرة حمراء صغيرة ، فى زاوية الصندوق ، مستطردا فى غلظة :

ـ إنه جهاز منزلى خاص .

خيل إليهما ان الصندوق قد تألق بضوء فيروزى خافت ، لجزء من الثانية ، إثر ضغطة (سليمان) على الدائرة الحمراء ، قبل ان يخبو تألقه بأسرع مما ظهر ..

وبحركة غريزية صحفية ، اختطفت (سامية) آلة التصوير الصغيرة من جيبها ..

والتمع المصباح الضوئى فى وجه (سليمان) ، وهو يلتفت إليها ..

وفى ثورة عارمة ، صرخ (سليمان) :

ـ ماذا فعلت ؟

تراجعت (سامية) فى رعب ، وهى تقول :

ـ لقد التقطت صورتك فحسب .

اندفعت قبضة (سليمان) تحيط بمعصمها بغتة ، وبدت عيناه مخيفتين رهيبتين ، وهو يضغط معصمها بأصابع من فولاذ ، قائلا فى صوت مرعب :

ـ من سمح لك بهذا ؟

ارتجف (ايمن) لمرأى ذلك الرعب الهائل ، المختلط بألم شديد ، والذى ارتسم على وجه (سامية) ، و (سليمان) يضغط معصمها ..

واندفع (ايمن) يقول فى حدة ، وهو يمسك معصم (سليمان) بدوره :

ـ لا عليك يا رجل .. إنها مجرد صورة .

التفت إليه (سليمان) فى حركة حادة ، وبدا وكأنه يقيس قوة خصمه ، قبل أن ينقض عليه ، مما جعل (ايمن) يتراجع فى حركة غريزية ، مغمغما :

ـ إلا إذا كنت تخشى شيئا .

توقف المشهد كله لحظات ، كصورة ضوئية ثابتة ، قبل أن تتراخى اصابع قبضة (سليمان) ، من حول معصم (سامية) ، وهو يقول فى بطء :

ـ لا .. لست اخشى شيئا .

ثم اضاف فى حدة :

ـ والآن انصرفا .

كانت (سامية) تبدو وكأنها تتطلع إلى شبح ، حتى أن (ايمن) قد شعر بالعطف عليها ، فجذبها من يدها ، قائلا :

ـ هيا يا (سامية) .. من الواضح أن المهندس (سليمان) لا يرغب فى التعاون مطلقا .

بدت له وكأنما التصقت عيناها بوجه (سليمان) ، وقد استحالت إلى تمثال من الرخام البارد ، فهتف بها فى حدة :

ـ (سامية) .. هيا بنا .

انتفضت وكأنها تستيقظ من نوم عميق ، وقالت فى اضطراب ، وهى تشيح بوجهها عن (سليمان) :

ـ نعم .. هيا بنا .

بدت وكأنها تعدو نحو السيارة ، هاربة من شىء ما ، ولم يكد (ايمن) ينطلق بالسيارة ، حتى قالت فى توتر ملحوظ :

ـ ليس بشريا .

التفت إليها (ايمن) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقولين ؟

صاحت فى حدة :

ـ اقول إن هذا الشخص ليس بشريا .

سألها فى مزيد من الدهشة والقلق :

ـ (سامية) .. ماذا أصابك يا حبيبتى ؟

صرخت فى عصبية أقرب إلى الجنون :

ـ لا تخاطبنى بلقب (حبيبتى) هذا .. انت لم تشعر بما شعرت أنا به .

عقد حاجبيه ، واوقف سيارته إلى جانب الطريق ، وهو يقول :

ـ وما الذى شعرت به ؟

رفعت معصمها أمام عينيه ، هاتفة فى انهيار :

ـ هذا .

واتسعت عيناه فى ذهول ..

لقد كانت على معصمها آثار أصابع خمس ..

محترقة ..

* * *

٣ـ الشيء ..

رفع طبيب المجلة عدسته المكبرة ، وهز راسه فى حيرة ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل يا آنسة (سامية) !!. مستحيل تماما !

قالت (سامية) فى عصبية :

ـ ما هو هذا المستحيل ؟.. لقد رويت لك كل ما حدث ، ولقد شاهد (أيمن) كل لحظة منه .

هز الطبيب راسه فى إصرار ، وهو يقول :

ـ ولو .. لا يمكنك خداع طبيب فى هذا الشأن .. ما من بشرى ، مهما بلغت قوته ، يمكنه أن يترك مثل هذه الآثار ، فى معصم بشرى آخر .

وأشار إلى آثار الأصابع الخمسة المحترقة ، وهو يستطرد :

ـ إن هذا الذى أمامى عبارة عن خمس حروف من الدرجة الثانية ، حدثت بفعل شىء ملتهب .

قالت (سامية) فى حدة :

ـ ليس شيئا أيها الطبيب .. إنه شخص مثلى ومثلك .

هز راسه فى عناد ، قائلا فى حزم :

ـ مستحيل !! مستحيل !! مستحيل !

بدا الغضب على وجه (أيمن) ، وهو يقول :

ـ ولكننى رأيت ما حدث .

رفع الطبيب سبابته أمام وجهه ، وقال :

ـ رأيت رجلا يمسك معصم زميلتك ، ولكن قد يكون هذا الرجل مرتديا قفازا خاصا مثلا ، لوثته بعض الأحماض المركزة ، أو ...

قاطعته (سامية) :

ـ لم يكن يرتدى قفازات .. بل على العكس ، كانت يده باردة كالثلج .

حدق الطبيب فى وجهها لحظة ، ثم ابتسم قائلا :

ـ إذن فقد صنعت اصابعه الباردة كالثلج ، تلك الآثار المحترقة .. اليس كذلك ؟

زفرت فى سخط ، وهى تقول :

ـ لا فائدة .. إنك لن تصدقنى ابدا .

ابتسم الطبيب فى دهاء ، وهو يقول :

ـ وهل المفروض ان افعل ، وان احتسبها إصابة عمل ؟

صاحت فى غضب :

ـ وهل تتصور ان كل ما اسعى إليه هو أن احتسبها إصابة عمل ؟

قال الطبيب فى صرامة :

ـ لست اظن شيئا .. سنحيط هذه الحروق بالضمادات اللازمة ، ونمنحك المضاد الحيوى الملائم ، وينتهى كل شىء .

غمغمت فى حنق :

ـ يا لها من رعاية طيبة !

لم تفه بحرف واحد ، حتى انتهى الطبيب من تضميد حروقها ، واعطاها تذكرة طبية بالأدوية المطلوبة ، وغادرت عيادة الجريدة فى غضب ، فابتسم (أيمن) مشفقا ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. إنها قصة اغرب من أن يصدقها شخص لم يرها بعينيه .

التفتت إليه بغتة ، تسأله :

ـ ما رايك انت ؟

سألها فى دهشة :

ـ فيما فعله الطبيب ؟

قالت فى حزم :

ـ لا .. فى الموقف كله .

تردد لحظة ، ثم قال :

ـ الواقع ان الموقف كله مثير للحيرة .

قالت فى اندفاع :

ـ بل هو امر خارق للطبيعة .

واضافت وهى تلوح بيدها فى حزم :

ـ هذا المهندس (سليمان) ليس بشريا .

ضحك فى ارتباك ، وهو يقول :

ـ ما هو إذن ؟.. جنى ؟

هزت كتفيها قائلة :

ـ ربمـا .

تطلع إليها لحظة ، وقال :

ـ (سامية) .. إنك تقلقيننى .

بدا وكانها لم تسمعه ، وهى تقول فى حماس :

ـ لابد ان نعود إلى (المقطم) .. لدى عشرات الأسئلة ، التى ينبغى ان يجيب عنها ذلك المهندس .

ربت على كتفها ، وقال محاولا تهدئتها :

ـ إنه لن يجيب اية اسئلة .

هتفت فى عصبية :

ـ سيفسر لى ما فعله بمعصمى على الاقل .

ربت على كتفها فى حنان مرة اخرى ، وقال :

ـ لا بأس يا (سامية) .. سنذهب إليه صباح الغد ، فلقد هبط الظلام الآن ، وانت تحتاجين إلى الراحة .

وبذل جهده ليبتسم ، وهو يستطرد :

ـ اظن ان افضل ما نفعله الآن هو ان اوصلك إلى منزلك .

مطت شفتيها فى حنق ، وتمتمت :

ـ فليكن .

ثم استطردت فى حدة :

ـ ولكننا سنذهب إليه فى (المقطم) ، فور استيقاظنا غدا .

ابتسم مغمغما :

ـ اعدك بهذا .

قادها فى رفق إلى سيارته ، وانطلق بها إلى منزلها ، دون ان يتبادلا حرفا واحدا ، حتى توقف امام المنزل ، وقال فى خفوت ، وكأنه يخشى تمزيق استار الصمت السائدة بينهما :

ـ لقد وصلنا .

كانت تغوص فى مقعدها ، كعادتها كلما جلست إلى جواره فى سيارته ، فاعتدلت فى جلستها ، وتمتمت :

ـ حسنا .

ثم انتزعت شريط التصوير من آلة التصوير الخاصة بها ، وناولته إياه ، قائلة :

ـ حاول ان تظهر الصورة ، التى التقطناها له هذا الصباح ، فى اقرب فرصة .

التقط الشريط السلبى ، والقاه فى جيب سترته ، وهو يبتسم قائلا :

ـ سافعل .. اطمئنى .

ابتسمت ابتسامة شاحبة ، وغادرت السيارة فى بطء ، فهتف بها :

ـ (سامية) .

التفتت إليه متسائلة ، فأضاف مبتسما :

ـ احبك .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ يا لك من عابث !

ولوحت له بكفها ، ثم اتجهت نحو المنزل فى خطوات واسعة ، فابتسم متمتما :

ـ ويا لك من فاتنة !

لم يكد يدير محرك سيارته ، حتى انقطع التيار الكهربى عن المنطقة كلها بغتة ، وانطلقت شهقة رعب من (سامية) ، جعلته يقفز خارج السيارة ، ويعدو إليها كالصاروخ ..

ووسط الظلام الدامس ، عثر عليها ترتجف فى رعب ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟

غمغمت وهى تمسك معصمها فى قوة :

ـ لقد انقطع التيار بغتة .

قال فى إشفاق :

ـ يبدو أن اعصابك مضطربة فى شدة ، فهذا امر شائع الحدوث ، ولا يستحق كل هذا الرعب .

غمغمت متوترة :

ـ هذا لو ان الأمر يقتصر على الظلام .

سألها فى قلق بالغ :

ـ ماذا هناك ايضا .

رفعت يدها أمام وجهه ، فاتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وخفق قلبه فى قوة ..

فعلى الرغم من الأربطة والضمادات ، كانت آثار الأصابع الخمسة واضحة ..

ولامعة كنيران مشتعلة ..

نيران اوقدها ذلك الشىء ..

* * *

٤ ـ زائر الليل ..

ابتسمت أم (سامية) فى وجه ابنتها ، وهى تسألها فى لهجة روتينية ، مفعمة بالحنان والحب :

ـ هل كان يومك جيدا ؟

اجابتها (سامية) فى عصبية :

ـ كان مرهقا .

قالت الأم مشفقة :

ـ تذكرى انك انت اخترت مهنة الصحافة .

زفرت (سامية) فى حنق ، وغمغمت :

ـ من سوء حظى .

ثم اتجهت نحو حجرتها ، مضيفة :

ـ لن أتناول العشاء الليلة .. سأوى إلى فراشى على الفور ، فانا احتاج إلى نوم عميق .

اغلقت باب حجرتها خلفها ، والقت جسدها على فراشها ، دون أن تبدل ثوبها ، وراحت تسترجع احداث ذلك اليوم العصيب ..

لقد بدأ رعبها مع التفاتة ذلك المهندس إليها ..

لوهلة لم يبد لها بشريا ..

لقد رأت أمامها وجها احمر اللون ، وعينين كجمرتين ملتهبتين مرعبتين ..

وتلاشى ذلك المشهد بغتة ، وعاد الرجل يبدو لها عاديا ..

ثم هناك آثار اصابعه المحترقة ، التى تتألق فى الظلام ..

لقد كادت تفقد وعيها رعبا ، عندما رات آثار اصابعه تتألق ، ولم يجد (ايمن) تفسيرا لذلك ، ولكن المشهد العجيب زاده إصرارا على ان يتوجها إلى المهندس (سليمان) فى الصباح الباكر ..

راحت تستعيد الأحداث مرات ومرات ، والنوم يتسلل إلى جفنيها فى بطء ..

وفجأة اختفت الجدران من حولها ..

ووجدت نفسها فى صحراء جرداء واسعة ، لا نهاية لها ..

ارضها من حصى احمر اللون ..

السماء فى نهايتها تتألق كنيران مشتعلة ..

وراحت (سامية) تدير عينيها فيما حولها فى رعب ، وهى تهتف :

ـ اين انا ؟.. ما الذى اتى بى إلى هنا ؟

وفجأة التقت عيناها بوجه مخيف ..

رهيب ..

مرعب ..

نفس الوجه الأحمر ، ونفس العينين المشتعلتين ..

وتراجعت فى ارتياع ، وذلك الشىء المخيف يمد اصابعه المعروقة ، ذات الأظفار الملتهبة إليها ، ويقول فى غضب صارم رهيب :

ـ اين الصورة ؟

اجابته وهى ترتجف رعبا :

ـ ليست معى .. اقسم لك إنها ليست معى .

اشتعلت عيناه غضبا ، وهو يصرخ :

ـ اين الصورة ؟

ثم دفع احد اظفاره فى كتفها اليسرى ، وخيل إليها أن خنجرا من اللهب قد اصاب ذلك الموضع ، فاطلقت صرخة مدوية ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتناهى إلى مسامعها صوت يهتف :

ـ استيقظى يا ابنتى .. استيقظى .

وفجأة تلاشت الصحراء الملتهبة ، وعادت جدران الحجرة تحيط بها ، وبدا لها وجها امها وابيها ، وهما ينحنيان نحوها ، والأب يقول فى قلق بالغ :

ـ ماذا حدث يا ابنتى ؟.. ماذا حدث ؟

تلفتت حولها فى رعب ، حتى اطمأنت إلى انها حقا داخل حجرتها ، فاجهشت بالبكاء ، وراحت تهتف بين ذراعى امها :

ـ إنه كابوس يا اماه .. كابوس بشع .

ضمتها امها إلى صدرها فى حنان وإشفاق ، ثم لم تلبث ان ابعدتها فى دهشة ، هاتفة فى جزع :

ـ ماذا اصاب كتفك يا بنيتى ؟

لحظتها فقط شعرت (سامية) بذلك الألم فى كتفها ، فى نفس الموضع الذى غرس فيه ذلك الشىء اظفره المشتعل ..

وعندما كشفت عن كتفها ، كانت تنتظرها مفاجأة مرعبة ..

لقد كانت هناك بقعة من الدم تلوث كتفها وقميصها ..

وكان هناك أثر لجرح صغير محترق ..

جرح أحدثه أظفر صغير مشتعل ..

* * *

لم ير (أيمن) فى حياته كلها (سامية) شاحبة وممتقعة ، مثلما رآها فى صباح اليوم التالى ، فى مبنى المجلة ..

لقد التقيا هناك فى الثامنة والنصف صباحا ، ولم يكد بصره يقع عليها حتى هتف :

ـ يا إلهى !.. ماذا اصابك ؟

هزت راسها ، وزفرت فى توتر ، وهى تقول :

ـ لن تصدقنى ابدا .

ابتسم مغمغما فى إشفاق :

ـ يمكننى أن أحاول .

زفرت مرة اخرى ، وقالت :

ـ لقد زارنى ذلك الشىء فى نومى .

عقد حاجبيه ، يسالها فى حيرة :

ـ اى شىء .

لوحت بكفها ، مغمغمة فى توتر :

ـ الشىء الذى يحمل اسم (سليمان صابر) .

سالها فى اهتمام :

ـ اتعنين انك قد حلمت به ؟

هزت رأسها نفيا ، وهى تقول فى رعب :

ـ لا .. لم يكن حلما ، إلا لو كانت الأحلام تسبب الحروق والجروح .

وراحت تروى له ما راته كله ، وهو يستمع إليها فى دهشة بالغة ، ثم لم يلبث أن قطب حاجبيه ، وقال فى توتر :

ـ هل سألك عن الصورة ؟

سألته فى قلق :

ـ أما زلت تحتفظ بالنسخة السلبية ؟

قال فى حزم :

ـ بكل تأكيد .

ثم شرد ببصره لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ أظننا نحتاج إلى إجراء بعض التحريات أولا ، قبل أن نلتقى بذلك المهندس مرة أخرى يا (سامية) .

سألته فى قلق :

ـ مثل ماذا ؟

أجاب فى لهجة حاسمة :

ـ سأخبرك ونحن فى الطريق إليها ، أما الآن فسأعطى النسخة السلبية لـ (حسام) ، لتحميضها وإظهارها وطبعها ، حتى نعود إليه .. هيا بنا .

سألته فى توتر ، وهو يقودها إلى الخارج :

ـ إلى أين ؟

أجابها فى حزم :

ـ سنتأكد أولا مما إذا كان هناك وجود حقيقى للمهندس (سليمان صابر) أم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ أم أن كل هذا مجرد وهم .

* * *

« ها هو ذا .. »

نطقها موظف السجل المدنى فى ارتياح ، وهو ينتزع ورقة تحمل صورة المهندس (سليمان) ، وكل البيانات المتعلقة به ، فالتقطت (سامية) الورقة فى لهفة ، وهتفت :

ـ مستحيل !!..

سألها (أيمن) فى اهتمام :

ـ هل هناك صورة مختلفة ؟

قالت فى توتر :

ـ على العكس .. إنها صورته ، ولكن هناك شىء يختلف .

ـ أى شىء ؟

ـ انظر إلى هذه الصورة .. إن ملامح صاحبها تشى بالوداعة والرقة وطيبة القلب ، حتى أنه يبدو شخصا آخر تماما ، بخلاف ذلك الشرس العدوانى ، الذى التقينا به هناك .

تطلع إلى الصورة لحظات ، ثم غمغم :

ـ هذا صحيح .

ثم نهض قائلا :

ـ هيا بنا .

تبعته وهى تسأله :

ـ إلى أين ؟

قادها إلى سيارته ، وانطلق بها ، وهو يقول :

ـ سنذهب إلى حيث يعمل المهندس (سليمان) ..

واضاف فى حزم :

ـ إن رحلة البحث لم تنته بعد ..

* * *

بدا الغضب على وجه مدير المكتب ، الذى يعمل به (سليمان) ، وسأل (ايمن) فى حنق :

ـ اتسالنى عن (سليمان صابر) .. اانتما قريبان له ؟

اجابه (ايمن) فى هدوء :

ـ هذا صحيح ، ونحن نبحث عنه .

لوح الرجل بذراعيه فى سخط ، وهو يهتف :

ـ اخبرانا عندما تعثران عليه إذن ، فلقد ترك العمل منذ يومين ، دون ان يعتذر ، او يبلغنا بسر غيابه ، وها هو ذا اليوم الثالث يبدا ، دون ان نعلم عنه شيئا .

عقد (أيمن) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟

صاح به الرجل محنقا :

ـ نعم .. هكذا .

لم يسأله (ايمن) شيئا آخر ، وإنما قال لـ (سامية) ، وهما ينطلقان بسيارته إلى مبنى المجلة .

ـ يبدو ان (سليمان صابر) هذا يخفى سرا رهيبا .

تمتمت فى رهبة :

ـ ومخيفا .

تطلع إليها لحظة ، ثم عاد يعتدل مراقبا الطريق ، وهو يسألها :

ـ اتتوقعين ان تقودنا الصورة إلى شىء ما ؟

غمغمت :

ـ بالتاكيد .

ـ مثل ماذا ؟

ـ لست ادرى .

ـ اهو شىء ما يخفيه فى هيئته ؟

ـ او هو هيئته نفسها .

اكتفيا بهذا القدر من الحديث ، حتى بلغا مبنى المجلة ، فاسرعا يستقلان المصعد إلى حيث حجرة التصوير ، واستقبلهما (حسام) خارجها ، وهو يقول :

ـ ما الذى جذب اهتمامكما بشأن هذه الصورة ؟.. إنها صورة عادية للغاية ، وسخيفة أيضا ..

سألته (سامية) :

ـ الم يبد لك وجه الرجل فيها مثيرا للاهتمام ؟

تطلع إليها (حسام) فى دهشة ، وهو يقول :

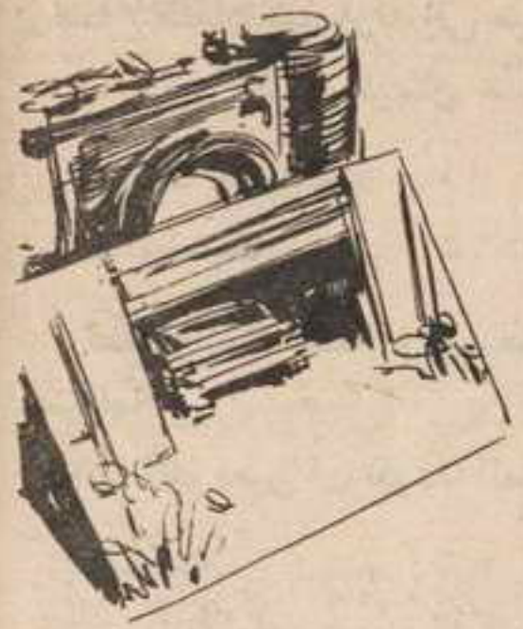

ـ وجه الرجل ؟!.. اى رجل ؟

ثم التقط الصورة ، ووضعها امام عيونهما ، مستطردا :

ـ إنها مجرد صورة لـ (جراج) خال .

حدق الاثنان فى الصورة فى ذهول ..

لقد كانت الصورة لـ (جراج) قيلا (سليمان صابر) بالفعل ..

ولكنها لم تكن تضم (سليمان) او الصندوق ..

كانت صورة خالية ..

خالية تماما ..

* * *

٥ ـ تسأل ..

غاصت (سامية) فى مقعد السيارة ، المجاور لمقعد القيادة ، وانكمشت كثيرا ، وهى تراقب الطريق الصاعد إلى (المقطم) ، وقد مالت الشمس إلى الغروب ، ولاذت هى بالصمت التام ، إلى ان سألها (أيمن) فى خفوت :

ـ هل تشعرين بالخوف ؟

تمتمت :

ـ إلى حد ما .

ثم التفتت إليه تسأله :

ـ وماذا عنك ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ أشعر بالخوف عليك فحسب .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قالت هى فى صوت خفيض :

ـ هل تعلم ما الذى سأفعله ، لو انتهى هذا الأمر على ما يرام ؟

أجابها فى هدوء :

ـ ستتزوجيننى .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حدة :

ـ لست أجد فى نفسى الرغبة فى المزاح .

تمتم فى رقة :

ـ لا بأس .. اردت تلطيف الجو قليلا فحسب .

شعرت بتأنيب الضمير ، فقالت :

ـ معذرة .. يبدو اننى متوترة بحق .

اوقف سيارته على بعد امتار قليلة من الڤيلا ، والتفت يسالها :

ـ هل نطرق الباب ؟

قالت فى توتر ، وهى تغادر السيارة :

ـ لا .. سننفذ خطتنا .

التقط مصباحا ضوئيا ، وتبعها على اطراف اصابعه ، هامسا :

ـ اتعلمين اننا سنرتكب مخالفة قانونية هكذا ؟

همست :

ـ أعلم ، ولكن الوسيلة الوحيدة لمعرفة طبيعة ذلك الصندوق العجيب ، الذى لا تلتقطه الصور الضوئية هو وصاحبه ، هى اقتحام ذلك (الجراج) خلسة .

راحا يدوران حول (الجراج) ، حتى كشفا وجود نافذة جانبية ، عالجها (ايمن) بعض الوقت ، حتى استجاب رتاجها ، وانفتحت على مصراعيها ، فهمس :

ـ هيا .. سأذهب انا اولا .

قفز عبر النافذة إلى داخل (الجراج) ، وهمس بها :

ـ اتبعينى .

دفعت جسدها الضئيل عبر النافذة بدورها ، وهمست فى خوف :

ـ لم لا تضىء المصباح ؟.. ذلك الظلام الدامس يملأ قلبى بالرعب .

اضاء مصباحه اليدوى ، وراح يدير ضوءه فى المكان ، حتى وقع على ذلك الصندوق الكبير ، فهتفت (سامية) :

ـ ها هو ذا .

اخرجت آلة التصوير فى سرعة ، وراحت تلتقط عدة صور للصندوق ، من جميع الاتجاهات ، ثم قالت :

ـ ترى اى شىء يحتويه هذا الصندوق ؟

اتجه نحو الصندوق ، وهو يقول :

ـ دعينا نرى بأنفسنا .

راحا يفحصان الصندوق طويلا ، ثم هتفت (سامية) فى حيرة ودهشة :

ـ عجبا !!.. إنه يبدو لى اشبه بكتلة مصمتة من الخشب ، بلا فتحات او اقفال ، فيما عدا تلك الدائرة الحمراء فى زاويته .

وقفا يتطلعان إلى الصندوق فى حيرة ، ثم القى (ايمن) بقعة الضوء على ركن آخر من اركان (الجراج) ، وقال :

ـ هناك صندوق آخر .

اتجها إلى ذلك الصندوق الآخر ، الذى بدا مستطيلا قصيرا ، يختلف فى مادته وهيئته كثيرا عن الصندوق الأول ، وغمغمت (سامية) :

ـ هذا الصندوق له غطاء واضح على الأقل .

انحنى (ايمن) ، وفحص الغطاء ، وقال :

ـ ولا توجد اقفال .

ثم رفع غطاء الصندوق ، والقى ضوء مصباحه داخله ..

وتراجعت (سامية) فى رعب ..

واطلقت صرخة قوية ..

لقد كان الصندوق يحوى جثة رجل ..

جثة المهندس (سليمان صابر) ..

* * *

تراجع (ايمن) بدوره فى ذعر ، وامسك كتفى (سامية) فى قوة ، وهو يهتف :

ـ كفى يا (سامية) .. كفى .

كانت اعصاب المسكينة قد انهارت تماما ، فراحت تطلق صرخات مخيفة عالية ، مما اضطر (ايمن) إلى أن يهوى على وجهها بصفعة قوية ، ارتج لهـا كيانها كله ، قبل ان تحدق فى وجهه فى ذهول ، ثم تنفجر باكية بين ذراعيه ..

وفى حنان شديد ، راح (ايمن) يربت على كتفيها ، وهو يقول :

رويدك يا حبيبتى .. رويدك .. سـينتهى كل شىء على ما يرام بإذن الله .. سينتهى كل شىء على ما يرام .

انتحبت فى شدة ، وهى تقول :

ـ هل رايته يا (ايمن) .. إنه قتيل . . قتيل !!

انبعث من خلفهما صوت بارد كالثلج .. يقول :

ـ بل هو فى سبات عميق فحسب .

التفتا إلى مصدر الصوت فى ذعر ، فى نفس اللحظة التى اضيئت فيها انوار (الجراج) ..

واطلقت (سامية) شهقة ذعر اخرى ..

لقد كان يقف امامهما شخص ، او شيء ، هو صورة طبق الاصل من المهندس (سليمان صابر) ، الذى يرقد داخل الصندوق ، فيما عدا ان ذلك الواقف كان يملك عينين كجمر مشتعل ..

ومضت لحظات من صمت مشوب برعب وذهول وخوف ، قبل ان يحيط (ايمن) كتفى (سامية) بذراعه ، ويقول لذلك الواقف فى حدة :

ـ من انت إذن ؟.. إنك لست المهندس (سليمان) .

وتمتمت (سامية) فى رعب :

ـ بل ما انت ؟

حدجهما ذلك الشيء بنظرة نارية مخيفة ، قبل ان يقول فى صوت رهيب مخيف ، بدا وكانه ياتى من اعماق الجحيم :

ـ لقد اتيتما فى لحظة غير مناسبة .. كان ينبغى ان تؤجلا حضوركما يومين فقط .

سأله (ايمن) فى حيرة :

ـ وما الذى كان يفترض حدوثه لو فعلنا ؟

اشار الشيء إلى صدره ، والتمعت عيناه ببريق مخيف ، وهو يقول بصوته الرهيب :

ـ كان كوكب الأرض سيصبح ملكنا .

ردد (ايمن) و (سامية) فى آن واحد :

ـ ملككم ؟!

ثم هتف (ايمن) مستطردا :

ـ ومن انتم ؟

كشر ذلك الشيء عن انيابه ، وهو يقول :

ـ لا داعى لأن تعرف .. إنك لن تفهم ابدا .. لن يفهم احدكما .

ثم رفع يده ، التى استحالت إلى يد حمراء معروقة ، تبرز منها نفس الاصابع المشتعلة ، التى راتها (سامية) فى حلمها ، واستطرد فى شراسة :

ـ يكفى أن تموتا ، لتنتهى المشكلة كلها .

واطلقت (سامية) صرخة رعب هائلة ، عندما رات تلك الاصابع المشتعلة تنقض عليها ..

ومعها الموت ..

* * *

٦ ـ المواجهة ..

لم تتصور (سامية) ابدا ان (ايمن) يمكنه ان يقاتل ..
والواقع انه هو ايضا لم يتصور فى نفسه هذه المقدرة ..
ولكن يبدو ان الحب شىء رائع بالفعل ..

لقد راى (ايمن) ذلك الشىء ينقض على الفتاة التى تحتل قلبه ، فاندفع بلا تفكير يدفعها بعيدا عن المخالب المشتعلة ، وهو يهتف :

ـ ابتعدى يا (سامية) .

والقتها دفعته بعيدا ، ولكن المخالب هوت على كتفه هو ، فمزقت سترته وقميصه ولحمه ..

وسالت الدماء الدافئة على كتفيه ، وذلك الشىء يقول :

ـ إذن فانت ترغب فى ان تكون اول ضحايانا من البشر .. فليكن .

وانقض عليه مرة اخرى ، وحاول (ايمن) ان يقفز مبتعدا ، ولكن المخالب المشتعلة خمشت صدره هذه المرة ، ومزقت ثيابه ، وادمته ..

وتراجع الشىء قائلا :

ـ ما رايك ؟.. انت ام الفتاة ؟

اجابه (ايمن) فى حدة :

ـ لن تمس شعرة واحدة من راسها ، وانا على قيد الحياة .

حدجه ذلك الشىء بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ عجيب امركم يا بنى البشر ، ما زلتم تدهشوننى بعواطفكم هذه .

ثم اخرج من جيبه كرة مضيئة ، وقال :

ـ وهذا يدفعنى إلى إنهاء القتال بسرعة اكبر .

قفز (ايمن) جانبا هذه المرة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها من الكرة حزمة من اشعة حمراء ، اصابت نفس الموضع ، الذى كان يقف فيه (ايمن) ، فقال الشىء فى برود :

ـ لن تفلت إلى الابد .

وهنا قفزت (سامية) ، وركلت الكرة من يد الشىء ، هاتفة :

ـ هذا لو بقى سلاحك فى قبضتك .

سقطت الكرة ، وتدحرجت إلى ركن (الجراج) ، والتفت الشىء إلى (سامية) ، وهو يقول فى غضب :

ـ لقد حكمت على نفسك بالإعدام ايتها البشرية .

وقبل ان تقفز مبتعدة ، قفزت يده تقبض على معصمها فى قوة ، فصرخت فى رعب :

ـ انقذنى يا (ايمن) .

اندفع (ايمن) نحو ذلك الشىء ، وتعلق برقبته ، هاتفا :

ـ اتركها ايها الحقير .

ولكن الشىء دفع مرفقه إلى الخلف ، وغاص به فى معدة (ايمن) ، الذى شعر وكان مطرقة هائلة من الصلب قد اصابت معدته ، ودفعته إلى الخلف فى قوة ، والشىء يلتفت

إلى (سامية) مرة أخرى ، ويرفع كفه الثانية ، ويفرد أصابعها ذات المخالب المشتعلة عن آخرها ، قائلا :

ـ أتعلمين ما سأفعله بك أيتها الأرضية ؟.. سأدفع يدى فى صدرك ، وانتزع قلبك ، واحتفظ به كذكرى أول بشرى يلقى حتفه على أيدينا هنا .

صرخت (سامية) :

ـ النجدة يا (أيمن) !! النجدة !!

ولم يشعر (أيمن) بالعجز فى حياته كلها ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يواجه ذلك الموقف ..

ولكن لا ..

لقد وقع بصره على الكرة العجيبة ، الملقاة فى ركن الحجرة ، فاندفع إليها ، والتقطها فى راحته ، ثم صوبها نحو الشىء ..

وتملكته الحيرة ..

ما الذى ينبغى أن يفعله لإطلاق الأشعة منها ؟.

إنها لا تحوى أية أزرار أو أجزاء ..

فقط كرة مستديرة من قطعة واحدة ..

وشاهد يد الشىء ترتفع ..

والمخالب تزداد اشتعالا ..

و (سامية) تصرخ طالبة النجدة ..

ثم هوت يد الشىء على صدر (سامية) ..

وصرخ هو :

ـ لا .. لا ..

ومع صرخته اعتصرت قبضته الكرة ..

وانطلق ذلك الشعاع الأحمر ..

وأصاب هدفه ..

وتراجع ذلك الشىء ، متخليا عن (سامية) ، وهو يطلق صرخة مدوية رهيبة ، لم يسمع بشرى مثلها من قبل ..

واستدار الشىء يتطلع إلى (أيمن) فى غضب هائل ، ثم اتجه نحو الصندوق المصمت ، وهو ينتحب .. أو يطلق صوتا أشبه بالنحيب ..

وفى دهشة بالغة ، تطلع إليه (أيمن) و (سامية) ، وهو يلصق جسده بالصندوق ، ويهتف :

ـ لقد فشلت العملية .. فشل الغزو كله .

وفجأة ومض جسد الشىء فى قوة ، وتألق (الجراج) كله بوميض أحمر مخيف ، وصرخت (سامية) :

ـ انظر إليه .

اتسعت عينا (ايمن) عن آخرهما ، عندما راى الشيء يفقد هيئته البشرية ، وسط ذلك الوميض الأحمر ، ويتحول إلى مسخ يشبه ذلك الذى راته (سامية) فى كابوسها ..

ثم اختفى كل شيء بغتة ..

وعاد الظلام يسود (الجراج) ..

وهتفت (سامية) ، وهى تلهث :

ـ (ايمن) .. ماذا حدث ؟

أجابها فى توتر ، وهو يشاركها اللهاث ، من فرط التعب والانفعال والألم :

ـ لست ادرى .. ربما استهلك كل الطاقة .

اتجه يتحسس طريقه إلى حيث مفتاح الإضاءة ، واضاء مصباح (الجراج) ، وهو يقول فى حيرة :

ـ لقد كان المصباح مطفأ .. من اين كان يأتى ذلك الضوء إذن ؟

زفرت فى توتر ، والقت جسدها ارضا ، وهى تغمغم :

ـ ليس هذا هو الشيء الوحيد ، الذى يحتاج إلى تفسير .

ثم اطلقت ضحكة عصبية ، مستطردة :

ـ هل تصدق ان كل هذا قد بدأ بفكرة إجراء تحقيق مع شخص عادى ؟

غمغم مشدوها ، وهو يحدق فى البقعة التى اختفى فيها الصندوق والشيء :

ـ شخص عادى ؟!.. يا إلهى !

سالته فى توتر :

ـ اى شيء كان هذا فى رايك ؟.. مخلوق من كوكب آخر ، ام عفريت من الجن ؟

هز راسه مغمغما :

ـ من يدرى ؟.. كلاهما قد يرغب فى احتلال الأرض .

اومات براسها موافقة ، ثم اشارت إلى حيث يرقد جسد (سليمان) ، وتمتمت :

ـ اتظنه سيستيقظ ؟

هز كتفيه ، قائلا :

ـ من يدرى ؟.. لم يعد هذا يهمنى كثيرا .

ثم اضاف وهو يعاونها على النهوض :

ـ المهم الآن هو ان نرحل من هنا .

غمغمت :

ـ صدقت .

غادرا (الجراج) من بابه هذه المرة ، والقت (سامية) نظرة اخيرة على الڤيلا ، قبل ان تدلف إلى السيارة ، قائلة :

ـ اتظن احدا يصدق قصتنا ؟

ابتسم قائلا :

ـ لا .. ولا رئيس التحرير نفسه .

ثم انطلق بالسيارة ، مستطردا :

ـ ولكننى على استعداد لإقناعه ، لو قبلت الزواج منى .

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ـ أما زلت تصر على الحديث عن هذا الأمر ؟

هز كتفيه مرة اخرى ، قائلا :

ـ ولم لا ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لدى وسيلة مضمونة لمنعك من التحدث عنه .

سألها فى اهتمام :

ـ ما هى ؟

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ سأقبل الزواج منك .

صرخ فى سعادة :

ـ مستحيل !!..

وعندما كانت السيارة تبتعد بهما ، وقد انتهت مغامرتهما المذهلة على هذا النحو ، كان الجسد الراقد فى الصندوق الآخر يفتح عينيه ، ثم ينهض فى بطء ، ويغادر الصندوق ، ثم يغلقه فى إحكام ، ويعتدل فى وقفته ، ثم تشتعل عيناه كجمرتين ملتهبتين ، وهو يقول عبر جهاز مستطيل صغير .

ـ لقد فشل (آراك ٦٠٠) فى اداء مهمته ، وتلاشى مع محرك الانتقال .. وساحل انا (آراك ٧٠٠) محله .. فى انتظار محرك انتقال آخر لبدء الغزو ..

واتجه فى هدوء نحو الڤيلا ..

ڤيلا (سليمان صابر) ..

[تمت بحمد الله]

حلول اختبر معلوماتك

١ ـ حشرة صغيرة جلدية الأجنحة .

٢ ـ اميرة عربية ، تحدثت عنها اساطير العرب قديما .

٣ ـ منظمة الأغذية والزراعة .

٤ ـ اجاثا كريستى .

٥ ـ لودڤيج فان .

٦ ـ ميثولوچيا .

٧ ـ نفرتيتى .

٨ ـ ١٩١٧ م .

٩ ـ مصطفى صادق الرافعى .

١٠ـ يعسوب الطب .

١١ـ الإيطالى (كمبينى) .

١٢ـ الشعير .

١٣ـ ١٩٩٨ م.

١٤ـ تموت .

١٥ـ جان دارك .

١٦ـ (إنجلترا) و (امريكا) .

١٧ـ بول چوزيف جوبلز .

١٨ـ چوبيتر .

١٩ـ ١٩٤٨ م .

٢٠ـ فوبيـا .

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

فى هذا الكتاب

صفحة

- جنون (قصة قصيرة) ٥
- اختبر معلوماتك ٩

العقرب

سلسلة جديدة

الإمبراطورة ١٣

- كلام أطفال (قصة قصيرة) ١٠١

أرزاق

- رواية اجتماعية طويلة .. ١٠٧

قصة العدد

تحقيق ١٧٣

- حلول اختبر معلوماتك ... ٢٢١
- عزيزى القارىء ٢٢٢

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة